

مع تحياتي : علي هولا

هدية الدكتور: ابراهيم الهولي

ثلاثة وثلاثين قرن من

# تاريخ الأمازيغيين



زعماء قبائل أمازيغية كما رسمتهم ريشة فنان مصري حوالي سنة 1300 قبل الميلاد. عثر على الرسم في  
ضريح الفرعون سنوسر الأول (من الأسرة الخامسة عشر).

عالمنا : محمد شفيق

1/18/2009

ثلاثة وثلاثين قرن من

# تاريخ الامازيغيين

كل حقوق النشر محفوظة للمؤلف

تأليف: محمد شفيق



## تاريخ الأمازيغيين.

إسهامهم في صنع التاريخ مع أطراف متعددة متعاقبة. خلال ما يربو على ثلاثة آلاف سنة. عوَّدهم أن يوطنوا أنفسهم على نسيان الماضي. لأن ذكره. حينما يتكرر لا ينتج منه إلا التبيح ونوع من التشبيب كالذي يهواه الشيخ الهرم الكُنْتي الفاقد الأمل في المستقبل. والواقع أن التاريخ لا يمكن أن يكون إلا «علما تحت الحراسة»<sup>(1)</sup> لأن البحث العلمي الحق يقتضي من الباحث أن يتجرد من كل ما هو ذاتي في تفكيره ووجدانه.

وإذا كان من المستحيل على المؤرخ - حتى في عصرنا هذا المستوعب لمفهوم «الموضوعية» - أن يتجرد من المشاعر الوطنية، أو القومية، أو الدينية، ومن التصورات المذهبية، فما بالك بمن أُرْخوا لماجريات العصور الغابرة. إذ كانت العصبية، على اختلاف أشكالها ودرجاتها، هي قوام التماسك الاجتماعي. وكان التعصب للدين، أو للجنس والعرق. يعد بمثابة الفضيلة الأولى!. إن في موقف الأمازيغيين تجاه ماضيهم لنوعاً من النبل والشهامة. فكأنَّ لسان حالهم يقول: فليكن ذلك الماضي ما كان. إنه لا يهمنا.

لكنَّ فيه أيضاً نوعاً من الغفلة والسذاجة، مادام لأقوال الناس في الناس تأثير على تصورات عامة الناس وتخيلاتهم وتبلور آرائهم سواء أكانت تلك الأقوال صادقة أم كانت كاذبة. وما أكثر ما قاله الناس بخصوص الأمازيغيين منذ فجر التاريخ.

1 \_ هذا عنوان كتاب فرنسي لصاحبه "مارك فيرو":

Marc Ferro "L'histoire sous surveillance", Editions Calmann -Lévy, Paris, 1985.

## المقدمة

من الأقوال الشائعة التي هي عند عامة الناس بمثابة الحكم الفلسفية أن «التاريخ ذاكرة الشعوب». وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن الشعوب تتذكر ما مر بها من العقود والقرون والعصور كما يتذكر الأفراد ما مر بهم من الأيام والشهور والسنين. والمعلوم أن من الأفراد من له ذاكرة قوية، ومنهم من له ذاكرة ضعيفة، لكنهم يلتقون جميعاً في ميلهم إلى زخرفة ذكريات الماضي وتجميلها، وإلى طرح كل ما هو عبء ثقيل على ضمائرهم وإزالة كل غبشة تشين صورة أيامهم الفارطة كما يشتهون أن يتخيلوها. ولهذا يكره الأفراد وجود شهود صدق على ماضيهم. ولا تختلف في ذلك الشعوب عن الأفراد، غير أن بعضها ينشغل بتكاليف الحاضر عن أخبار الماضي، باستمرار، فتتمر به الأزمان تلو الأزمان، إلى أن يقتصر علمه بما سلف من دهره على ما يحكيه له غيره. والغالب أن ذلك «الغير» لا يمكن أن يكون إلا ندّاً سبق له أن كان عدواً للأسلاف والأجداد، أو كان لهم خصماً، في أحسن الحالات.

ولعل الأمازيغيين خير نموذج للألم التي لم تكن لها ذاكرة خاصة بها، مادامت الذاكرة هي تدوين السيرة الذاتية، فكأنَّ

## تاريخ الأمازيغيين.

الإيمان. أما من يدعي أنه براء من «الشلحاء» و«الشلوح» معا. فله ذلك، سواء أ صحَّح أم لمَّح أم أسرَّ. لأنه حرفي أن ينتسب أو ينتسب كما يشاء. حرحتى في ترجيح جانب المعرفة الأسطورية على جانب المعرفة العلمية. ما لم يمل إلى فرض معتقداته على غيره. ولم يجعل تنسُّبه وسيلة للتسلط والهيمنة.

الرباط 08 صفر 1409 الموافق 21 شتنبر 1988 المؤلف

والأمازيغيون سكوت. ولعلمهم اليوم أحسن الأمم حظا في القدرة على استطلاع الحقائق عن غابر أزمانهم بكيفية موضوعية. ذلك لأنهم لم يتيحوا لأنفسهم قط فرصة تزييف ولا تزويق؛ عهدتهم في تحليل تاريخهم وتركيبه كلها على من كتبوا في شأنهم بالتوالي ابتداء من عهد الفراعنة الأول وانتهاء بعهد ضباط «التهدئة الفرنسية». أي على خصوم تنطبق على رواياتهم لتاريخ الأمازيغيين. أحسن ما يكون الأنطباقي، القولة المأثورة المقتبسة من الذكر الحكيم «وشهد شاهد من أهلها...» وقد كان أولئك «الأهل» الشهود هم الكتبة من المصريين القدماء. ومن اليونان والفينيقيين والرومان والوندال والبيزانتيين والعرب والفرنسيين والأسبانيين.

أما المشهود على أمرهم. فلو لم يزل بعضهم – أو جلهم؟ – يحمل ورقة تعريفه. لأيقننا أنهم اندثروا منذ زمان. وصاروا جميعا خبر كان.

وورقة تعريف الأمازيغي. في وقتنا الحاضر. هي قدرته على الافصاح بلغة «الزاي»<sup>(1)</sup>. أو تعاطفه معها. أو عدم تنكره للأجداد «محلقي الرؤوس. أكلي الكسكس. لابسي البرنس» وهو أضعف

1 \_ حرف (الزاي) من الحروف التي يكثر سماعها في اللغة الأمازيغية، وهو نوعان: زاي مرفق وزاي مفخم، والتميز بينهما في النطق والكتابة ضروري، لأن بالترقيق والتفخيم يفرق بين مدلول ومدلول. «نزي». بالزاي الرقيقة، هو الذبابة؛ بينما «نزي» بالزاي المفخمة هو المرارة التي تفرز المرّة. وقد كان ابن خلدون يرسم الزاي الأمازيغية المفخمة صادًا في جوفها زاي مصغرة. أما الناصري (وغيره) فكان يرسمها صادًا. وهي الأصل في اسم «أزيلا» الحرف الآن إلى «أصيلة». والنسبة الصحيحة ألى تلك المدينة هي «الزيتلاشي». بشين تستحق أن يُبحث عن سر ظهورها.

## تاريخ الأمازيغيين.

(De Foucauld, II 673) . قد يكون ذلك ناجماً من مجرد الاعتزاز بالنفس من قبل إمازيغن. لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنواناً للعزة والمناعة، وهو ما نعتقد.

تسمية «البربر» أنفسهم بـ«إمازيغن» ضاربة في القدم، وبها عرفهم أقدم المؤرخين، وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء، مع تحريف لاسمهم في النطق، ثم في الكتابة، له مبرراته اللغوية، كان المصريون القدماء في عهد «راعامسيس» الثالث يسمونهم «ماشوش» لأن اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب الزاي شينا، والغين شينا أيضاً، بعد قلبه خاء، وتفصل في الكتابة بالواو (بواو فارقة) بين الحرفين المتجانسين (Grammaire, 27,28,29) وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيكاتايوس Hekataios إمازيغن في القرن السادس قبل الميلاد باسم «مازييس» Mazyes وذكرهم هيروذوتوس Herodotos في القرن الخامس ق.م. باسم «ماكسيسيس» Maxyes. «أما المؤرخون اللاتينيون فقد أوردوا الاسم نفسه محرفاً إلى «مازاكس» Mazax أو «مازيس» Mazikes «أو إلى «مازيكس» Mazikes». وهي أسماء جموع (Collectifs) بمعنى واحد، أطلقوها على «الشعب النوميدي» (Dictionnaire latin, 956) . ويظهر أن أول قبيلة أمازيغية كبرى احتكت بقدماء المصريين احتكاك حرب (1227 ق.م) كانت تسمى «ليبو» وكانت مستوطنة لأراضي ليبيا الحالية (Berbères، عن هيروذوتوس، 11). وقد اختلط الأمر على المؤرخين الأول، ومنهم هيروذوتوس، فصاروا يسمون إمازيغن تارة باسمهم هذا محرفاً قليلاً أو كثيراً، وتارة باسم «ليبيا Libye

## إمازيغنهم «البربر»

إمازيغن في اللغة «البربرية» جمع، مفرد: أمازيغ، وهو الاسم الذي يسمي به «البربر» أنفسهم، مؤنث أمازيغ هو تامازيغت، يطلق على المرأة وعلى اللغة، عند قبائل التوارك المنتشرة في قلب الصحراء الكبرى، يُسكَّن حرف الزاي في «أمازيغ» ويقلب إما هاء، وإما شينا أو جيما، بحيث تنطق اللفظة «أماهغ» عند التوارك الجزائريين، و«أماشغ» عند التوارك الماليين، و«أماجغ» عند التوارك النيجيريين (Ency. Berb IV 563).

كلمة أمازيغ، من حيث صيغتها اللغوية، اسم فاعل، وهي صيغة نادرة لم يوضع على وزنها إلا عدد قليل من أسماء الفاعل، وهي مشتقة حسب ما هو متوفر من القرائن، من الفعل «يوزغ» - المنطوق «يوهغ» عند التوارك - الذي معناه غزا، أو أغار، ويرى بعض اللغويين أن «أمازيغ» مشتق من فعل آخر اعتبروه مأتا في اللهجات كلها، قد يكون هو الفعل «إزيغ» أو الفعل «يوزاغ» (Ency. Ber. IV, 566) وهو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى، هي «ياغ» بمعنى أصاب أو اعتري، و«ياغ» أو «يوغ» بمعنى أخذ أو نال أو سقط أو اشتعل أو أضاء، و«يووغ» بمعنى رعى في معنى انتجع، وعلى أي حال، «أمازيغ» اسم مشرب معنى النبل والشهامة والاباء، سواء في المغرب أو عند التوارك

## تاريخ الأمازيغيين.

1- حسب ديزاخ كانت قبيلتا «ماسايسيلي أو ماسايسولي. Masaisuli, Masaesyli» و«بانيورايباني. Baniuræ» تستوطنان شمالي المغرب الأقصى بين المتوسط شمالا والمحيط غربا ونهر سبو جنوبا. وكانت قبيلة «أوتولولي. Autololes» منتشرة في السهول الأطلنتية بين بوراكرآك وتانسيفت الحاليين. وكانت قبيلة «كاناريي. Canarii» نازلة بناحية فيكيك الحالية.

2- وفي المغرب الأوسط كانت القبائل النوميديّة Numidia مستقرة أو شبه مستقره في شرقي البلاد. بينما كانت قبائل «كابتولي. Gaetulia» تنتجع في الأجزاء العليا Les Hauts Plateaux وقبائل «أثيوبيا. Aethiopia» تشغل المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الصحراوي.

3- وفي تونس الحالية كانت القبائل النوميديّة نفسها منتشرة في غربي البلاد من الساحل المتوسطي إلى ناحية القيروان الحالية. ممثلة أحسن تمثيل في قبيلة «ماسيلي. Massili» أو «ماسولي. Massyli» المنطوق اسمها هكذا بسين مضعفة باعتبار النطق الفرنسي والمنطوق اسمها. حسب ما نرجح «مازولي» أو «مازيلي» بالزاي. لأن السين المضعفة كانت بمثابة الزاي. عند اللاتينيين قبل تبنيهم Y و Z اليونانيين. (Traité de grammaire, 33). أما اراضي «زاوكتانا أو زاوغيتانا. Zeugitana» و «ببزاكينا أو ببزاقينا. Byzacena» فكانت خاضعة للنفوذ القرطاجي. قبل الاحتلال الروماني لها.

4- وفي ليبيا جد. حسب ديزاخ قبيلة. «فازانيي. Phazanii»

«المدال في شعر هوميروس Homeros على الأراضي الممتدة من تخوم مصر القديمة شرقا إلى المحيط غربا (Dictionnaire grec, 1190). ولما أنشئت المستعمرات الفينيقية على شواطئ أفريقية الشمالية وازدهرت ولفنت أنظار اليونان والرومان إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط. أخذ الكتاب الاغريق واللاتينيون يسمون الأمازيغيين عامة بـ «الأفارقة» ويصنّفونهم إلى لبيين و نوميديين و موريين. انطلاقا من الشرق وانتهاء بالمغرب. وكان منهم من يخلط بين هذه الأسماء (Scylax, في Le Maroc La guerre chez les auteurs anciens, ص 18. Cesar, في La guerre d'Afrique, ص 4) فصاروا يسجلون أسماء المجموعات القبلية الأمازيغية بشيء من التفصيل. يصعب بل يتعذر اعتماده في ترتيب تلك المجموعات من حيث أحجامها ولا من حيث استمرارية وجودها في الزمان حاملة اسمها الأول. ولا من حيث انتشارها في المكان. وذلك نظرا لما طرأ من تحريف في النطق والتسجيل. من جهة أولى. ولكون تلك القبائل تتألف في معظمها من عشائر البدو الرحل. من جهة ثانية. ثم نظرا لاعتبار أمر لا بد من اعتباره هو أن من المحقق في ضوء ما هو ملحوظ إلى يومنا هذا. أن المترجمين للقبائل عن سماع عبر الزمان أو عبر المكان. كثيرا ما يخلطون بين الجزء والكل. من جهة ثالثة. وعلى سبيل الإشارة لا الترجيح نستعرض هنا أسماء القبائل الأمازيغية القديمة كما استقرأها الأستاذ ديزاخ Desanges في تعليقه على بلينيوس الأكبر (Histoire Naturelle, V) مجتهدا في رسم خريطة لمواطن كل قبيلة:



رسماء قبائل أمازيغية كما رسمتهم ريشة فنان مصري حوالي سنة 1300 قبل الميلاد. عثر على الرسم في ضريح الفرعون سيني الأول (من الأسرة التاسعة عشرة)

« من الجهة الجنوبية الغربية للجبال المعروفة الآن بجبل نفوسة، ثم جُد بالتتابع على مقربة من الساحل المتوسطي، وانطلاقاً من الغرب تجاه الشرق، قبيلة «ماكايبى، أو ماقايبى، أو ماغايى Macae»، فقبيلة «ناسامونى، Nasamones»، فقبيلة «مارماريداي، Marmaridae»، فقبيلة «ماريوناي، Mareotae»، وهي الأخيرة من جهة الشرق، تمتد مواطنها إلى بحيرة قرب دلتا النيل كانت تسمى باسمها، وفي عرض الصحراء الليبية، حيال الخليج من جانبه الغربي، كانت توجد مواطن قبائل «كارمانتي، أو غارامانتي، أو جارامانتي، Garamantes».

من المعلوم أن المغرب الأقصى مع الجزء الأكبر من المغرب الأوسط كان يعرف عند اليونان باسم «ماوروسيا، Maurusia»، هم الذين سموا هذه المنطقة بهذا الاسم لأول مرة، فأخذه عنهم الرومان وقالوا «ماوريتانيا، Mauritania» وهنا يجب لفت النظر إلى أن الاسم اليوناني Maurusia قريب من حيث مادته اللغوية من الفعل الاغريقي «ماورسو، Maurso» الذي معناه «أظلم»، فهل معنى ذلك أن اليونان كانوا يقصدون بـ «ماوروسيا، Maurusia» أرض الظلمات، لأن الشمس تغرب فيها بالنسبة إليهم؟ هذان سؤالان يستحقان أن يبحث عن جواب لهما. أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وما يليه من غربي تونس الحالية، فكان يسمى «نوميديا، Numidia» وكانت الأراضي المحاذية للنشاطى المتوسطي شرقاً وشمالاً تسمى «أفريقيا، Africa» والنسبة إليها في اللاتينية هي «أفر، Afer» المجموعة على

## تاريخ الأمازيغيين.

وبين «مازيلي، مازولي، Massili, Massyli, Massuli» و«مزالا، أيت مزالا، إمزيلن»؟ وبين «زاوكتانا، زاوغيتانا، Zeugitana» و«زواغا، ئزكاغن»؟ وهل لاسم «فازانيي، Phazanii» صلة بنفوسة، أو على الأرجح بالفزّان الحالية، التي عرفت عند التوارك باسم «تاركّا»؟ (Dictionnaire Touareg, IV, 1588). أما «بانيورا، Baniurae» فقد اقترح باحث مغربي أن نشخصها في «بني وارين» إلا أن ذلك مستبعد، لأن الاسم الأمازيغي لهذه القبيلة هو «أيت وارين» وفي العهد الإسلامي ترجمت «أيت» إلى «بني».

«أفري، Afri» فيما يهيم الأناسي، و«أفريقانوس، Africanus» أو «أفريقوس، Africus» في الشعر خاصة، فيما يهيم الحيوانات والأشياء (Dictionnaire français-latin, 59). ويقدر ما يمكن الفصل بأن اسمي «ماوريتانيا، Mauritania» أو ماوروسيا، Maurusia» و«نوميديا، Numidia» ليسا أمازيغيين، بقدر ما يمكن ترجيح أن هذه الألفاظ الثلاثة «أفر، Afer» و«أفريقوس، أو أفريغوس، أو أفريكوس، Africus» تنتمي من حيث صيغتها إلى الحقل اللغوي الأمازيغي، وحتى من حيث مدلولاتها، لكن لاسبيل إلى الجزم في الموضوع، لأن اللغة اللاتينية كانت تلحق بالأسماء زوائد إعرابية متغيرة، تظهر حيناً وتختفي حيناً، من جهة، ولأن حروف الهجاء في نظام الكتابة اللاتينية تطور عددها مع الزمن، فتغيرت رمزية بعضها الفونولوجية (Traité de grammaire, 33...). ولهذا السبب، وللأسباب الأخرى المذكورة آنفاً، يكاد يتعذر على المؤرخ حالياً أن يقارن بين أسماء القبائل الأمازيغية التي وردت في المؤلفات اليونانية واللاتينية القديمة، وبين أسماء القبائل التي عددها ابن خلدون في عصره، إلا أن اسم قبيلة «لواتا» الشهيرة أورده بعض كتاب الاغريق واضحا لا غبار عليه: «لواتا، أو لواتاه، Louâtah» كما ذكروا اسم «إفوراقس، أو إفوراغس، أو إفورن، Ifuraces» الذي يمكن ان يشخص في «إفوغاس» التوارك أو في «يفرن» (Les Berbers, Fournel, 98..103). ويجوز أن نتساءل: هل من علاقة بين «كاناريي، Canarii» والجزر الخالدات؟ أو بين «أوتولولي، Autololes» و«والال، أيت والال»؟ وبين «كايتوليا، Gaetulea» و«كودالا»؟



(la Résistance Africaine) ولاسيما أن جل قبائلهم ظلت خارج المناطق الشمالية الخاضعة للنفوذ الروماني. فلزمهم طيلة عهد الرومان. وكان من الطبيعي أن يلزمهم طيلة عهد السيطرة البيزنطية على مدن الساحل المتوسطي الجنوبي. بما أن «الروم» أي البيزنطيين من ورثة الإمبراطورية الرومانية. وعند الفتح الإسلامي. أخذ العرب عن «الروم» كلمة «بارباري» (Barbari) وجعلوها «بربر». ولقد ظل الأفرنج. أي الأوروبيون يسمون أفريقية الشمالية «بارباريا» Barbaria, Barbarie. أو الدول الباربارية. «Etats Barbaresques». إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (Dictionnaire Robert). ولما احتكوا بأهالي المغرب والجزائر الناطقين بالعربية العامية. سمعوا منهم اسم «لبرابر» منطوقا براءين مرققتين ونقلوه إلى لغاتهم في شكل Berbers أو Berbères .

وما سوى هذا من التفسيرات التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. إن كل ما روي من الأشعار العربية في موضوع نسب «البربر» وإلحاقهم بقبائل العرب. من مخرية وقحطانية. لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة. وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب و«البربر» معا. والدليل على ذلك أن شعراء عربا آخرين حاولوا أن ينسبوا إلى «العروبة» شعوبا أخرى غير «البربر» فقالوا في الأكراد مثلا (لسان العرب. لابن منظور. مادة: كرد) :  
لعمرك ما كرد من أبناء فارس\*\*\* ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

## سبب تسمية إمازيغر ب «البربر»

كانت الشعوب قديما قليلة التواصل بينها. وكانت تعتبر أن من لا يفصح عما يريد في لغتها هي لا يمكن أن ينعت إلا بالعُجْمَة. أي بالخرس والبكامة. ولذا كان للعرب عجمهم. ولل يونان عجمهم. هم «البارباري» Barbari « وكان للأمازيغيين عجمهم أيضا. هم «إكناون» وقد لظمت هذه التسمية بعض شعوب أفريقية الغربية. فيما تفرع عنها من أسماء البلدان. كغينيا وغانا. اللتين كان ينسب إليها في المغرب بـ «كناوي. عبد كناوي» والغين في غانا وفي غينيا مقلوبة عن الكاف المعقودة. ولا تزال فئة من سكان المغرب الذين هم من أصل زنجي يسمون «كناوا». أما اللفظة الأمازيغية الأصلية فهي «أكناو» التي تجمع على «إكناون» ومعناها الأعجم. الأخرس... كان اليونان اذن يطلقون اسم Barbari على غيرهم من الشعوب. بدءا باللاتينيين. ولما أخذ عنهم الرومان صاروا يسمون به كل شعب خارج عن المجال الحضاري اليوناني اللاتيني (Dictionnaire latin, 207). فمن المحقق إذن أن الأمازيغيين كانوا «بارباري» Barbari في نظر الرومان. وكانوا ينعتون بذلك النعت. لاسيما أنهم قاوموا روما مقاومة شديدة. حريبا (Rome et) les Berbères وثقافيا

## أصل إمازيغن

كتب الكثير في هذا الباب، وملخص ما كُتب أن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن «البربر» من أصل يمانى، أي من «العرب العاربة» الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة، وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن «البربر» «أوريو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم، ومن الواضح أن الحافز في الادعاءين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان. ومع تراجع الاستعمار الأوربي عن أفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لاسيما تجاه المصادر المكتوبة ما لم تدعها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الامكانيات الأركيولوجية والانثروبولوجية واللغوية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربة على الأصح، والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان أفريقية الشمالية الحاليين، في جملتهم لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ما قبل التاريخ، أي منذ ما قُدر ب 9.000 سنة، من جهة، وأن المد البشري في هذه المنطقة،

وعلى أي حال لقد جَاهل الأمازيغيون اسم «البربر» في لغتهم طوال العصور واحتفظوا باسمهم الأصلي «إمازيغن» ولم يتقبل منهم اسم «شلوح» الذي سموه به في المغرب - وربما لأن بعض قبائلهم كانت تقطع الطرقات على المسافرين - إلا سكان غربي الأطلس الكبير وسوس، يسمون أنفسهم «إشليحين»، مع الأفراد على «أشليحي»، لكن لوحظ عندهم في العقدين الأخيرين أنهم يفضلون اسم «إمازيغن». وما يجب ذكره أن لفظة «أرومي» أي الرومي أو الإفريقي في اللغة الأمازيغية محملة في أصل مدلولها بمعنى القساوة وانعدام الرأفة، توازي في ذلك كلمة «بارباري» Barbari الرومية. ولهذا التوازي امتداد فيما تسمى به ثمرة الصبار الشائكة القشرة المعروفة عند المغاربة بـ «كرموص النصارى» «أي» تين الأفرنج «وعند الفرنسيين «Figue de Barbarie» أي تين بلاد «البربر»». وقد أخذ المشاركة اليوم لفظة «بربر» عن الأوربيين مباشرة بما أشربت من معان، فقالوا «أعمال الصهاينة البربرية» وما إلى ذلك، وسموا ثمرة الصبار بـ «تين البربر» (Agricultural terminology).

ولقد كانت، من جهة الأمازيغيين في القديم، ردود فعل على ما سموه به بعد الفتح الإسلامي من التسميات، فلقبوا العرب بـ «إكزام» المعاول، و«إكشوضن» الحطب، و«إزاكارن» الشُّرط، جمع شريط، و«إخامخامن» الصُّحْل. وكان الأمازيغيُّ يُورِّي عن إشعار القوم أن جليسههم العربيُّ يفهم «البربرية» بقوله «هات يتشا يوجضم»! لقد أكل الهندياء!

ب- لقد عثرت شخصيا على عدد من الالفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب «لسان العرب» إنها «حُمَريّة «أو» يمانية»: وهي ألفاظ لها وجود في الامازيغية، إما بمدلولها «المُحَمَّرِي» وإما بمدلول معاكس، وكأنها انقلبت الى أضعافها. لكن عدد هذه الألفاظ قليل لا يسمح بجزم في الموضوع. الا اذا تمت دراسة مقارنة ميدانية بين اللهجات الأمازيغية واللهجات اليمانية الحالية من حيث معطياتها المعجمية والصرفية والفونولوجية.

ج- بين حروف « تيفيناغ » القديمة منها والتواركية، وبين حروف الحميريين، شبه ملحوظ في الاشكال، لكنها لا تتقابل في تأدية الأصوات، إلا في حالتين اثنتين يتجاوز في التدقيق (مراسلة شخصية بيني وبين الباحث الفرنسي «كريستيان روبان» Christian Robin، محرر الفصل الخاص بحضارة جنوبي الجزيرة قبل الاسلام في «l'Arabie du Sud»).

ولعل طريق البحث في هذا الموضوع سيختصر في العقود الاولى من القرن المقبل، أو قبلها بقليل، لأن وسائل المقارنة الانثروبولوجية بين الشعوب أصبحت جد دقيقة بفضل الاكتشافات الاخيرة التي حققها العالمان «جان دوصي» Jean Dausset و«جان بيرنار» Jean Bernard المتخصصان في فحص الكريّات الحمراء على مستوى أشكال سطوحها، ولقد تمكن هذان العالمان من اقتفاء آثار شعوب هاجرت مواطنها الاصلية منذ خمسة عشر ألف سنة (Le sang et l'histoire)

كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة أخرى. (Berbères, Camps 44).

وبناء على هذا، يمكن القول إن من العبث أن يبحث لـ البربر «عن مواطن أصلية غير التي نشأوا فيها منذ ما يقرب من مائة قرن. ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن يطبقه في التماس» مواطن أصلية «للصينيين، مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب. وكل ما يمكن تأكيده اليوم، فيما يرجع للقرابة القديمة المحتملة بين إمازيغن واليمانيين، يكمن في قرائن ثلاث :

أ- عدد لا بأس به من أسماء الأماكن التي توجد على الطريق البري الواصل بين المغرب الكبير وبين اليمن عبر القارة الافريقية، لها صيغ أمازيغية واضحة ولبعضها مدلولات في اللغة «البربرية»، منها في صعيد مصر: أبنو، وأسبوط، وأخميم، وتيما، وتالا، وأصوان (أسوان)، وتوشكا... وفي شمالي السودان: تاراكما، وأتبارا، وتيمرايين... وفي إريتريا: أكسوم، وأسمارا، وأكولا، وأكوردات أو أكورضاد... لكن، لا يوجد في اليمن نفسها، حسب ما هو مرسوم في الخرائط العادية، أسماء أماكن من هذا القبيل، إلا اسم جزيرة «أنتوفاش». أيرجع تسلسل الاسماء السالفة الذكر على الطريق القارية الرابطة بين افريقية الشمالية وبين اليمن الى عهد هجرة قديمة تركت آثارها في الاصقاع التي عبرتها؟ أم يرجع الى قرابة بين اللغة الامازيغية وبين المصرية القديمة واللغات الكوشية ؟

## تاريخ الأمازيغيين.

له ما يبرره كما سنوضح من بعد؛ فاحتكرت تلك الشعوب فرص المبادرة منذ البداية. وظل الأمازيغيون في موقف المدافع على مر القرون.

ومن الطريف ان يبدأ اتصال الأمازيغيين القدماء بالأجانب الأول الذين استأذنهم في مساكنهم، بابتسامه مغرية ترضت بها أميرة فينيقية زعيما أو ملكا «بربريا». حسب ما نقلته إلينا الأسطورة في بعض تفاصيلها (Trois mille ans, 30). كان ذلك الزعيم الملك هو «بارباس» Iarbas حسب ما رواه المؤرخ اللاتيني «يوستينوس» Justinus. «في القرن الثاني الميلادي. نقلا عن غيره (l'Afrique du Nord, 68). وكانت تلك الأميرة هي «أليسا» Elissa «الشهير، المعروفة باسم» ديدون. Didon «أيضا. فإن كانت هذه الأسطورة تدل على شيء، فإنها تدل على أن الأجانب الأول الذين قدموا أرض «البربر» قدموها مسالمين مستضيفين. وعلى أن مضيفهم كانوا في حاجة إلى معونتهم. وبالفعل كان الأمازيغيون في حاجة إلى وسطاء بينهم وبين غيرهم في التجارة وشؤون البحر. وكانوا في حاجة اليهم في ما يصنع من الأدوات والأنية والملابس وغير ذلك. وما لا شك فيه أن الأمازيغيين عرفوا فينيقيين آخرين قبل «إليسا» ومرافقيها. وأنهم تعاملوا معهم في المبادلات. وما قدموم» ديدون «وتأسيس قرطاجة حوالي 814 ق.م إلا تكريس لعلاقات سابقة بين مجتمع رعوي انتجاعي وبين وفود من التجار والصناع. لكن تأسيس قرطاجة وغيرها من المراكز التجارية الفينيقية الأخرى على ساحلي افريقية الشمالية ستكون له مضاعفات لم يكن

## الأمازيغيون. قاي العصر التاريخي القديم وما قبل الإسلام.

### 1\_ استمرارية تعرض المواطن الأمازيغية للهجمات الخارجية :

لا يعتقد أن من بين الأمم أمة لم تتعرض قط للهجمات الخارجية. ولا يعتقد أن من أصقاع المعمور ما لم تتوال عليه دفعات الاستعمار البشري إلا ما كان منها قاحلا لا خير فيه، أو غير قابل للاستيطان من جراء مناخه واختفاء تربته تحت الجليد. لكن تتابع الهجمات الخارجية على مواطن الأمازيغيين في جل حقب التاريخ قد لفتت انتباه المؤرخين. ولعل سبب تعرض «البربر» لها راجع لعاملين متفاعلين. أولهما أنه نشأ على الضفة الشمالية الشرقية للبحر المتوسط حضارات مادية ازدهرت بفضل عوامل متعددة، فبادرت الشعوب التي استفادت منها إلى الانتشار خارج معاقلها مزودة بعدتها وعتادها وبتجارها. وثانيهما أن الأمازيغيين كانوا، إذ أخذت تلك الشعوب في الانتشار، على حال من الضعف المادي والاجتماعي والسياسي.

## تاريخ الأمازيغيين.

قول «تيتوس ليفيوس. Titus Livius:» «إن سيوف النوميديين هي التي فصلت الفصل النهائي في معركة قنّاية»، Cannae Les Berbers). في صدر الكتاب). لكن الأحقاد بين الأمازيغيين والقرطاجيين كانت قد تسربت إلى أعماق النفوس: فاستغلها الرومان بحنكتهم المألوفة ووجدوا طريقهم إلى الاحتلال التدريجي لمناطق إفريقية الشمالية الحاذية للساحل المتوسطي وما اتصل بها من الأراضي الداخلية، كما هو معلوم.

وهنا جدر الإشارة إلى أن الجزء الشرقي من الساحل لم يسلم من التدخل الأجنبي. ففي القرن الخامس قبل الميلاد، بينما كانت قرطاج تنشر نفوذها في غربي الحوض المتوسطي، كان اليونانيون يتحيفون الأراضي الأمازيغية قطعة قطعة في الضفة الجنوبية المتقابلة مع بلادهم، فقاومتهم القبائل الأمازيغية الليبية» ناسامونيس «بقيادة ملكها — أو زعيمها — «أدريكان». Adrican لكنهم مع ذلك، تمكنوا من احتلال مواقع بحرية، في ما هو معروف الآن بـ «برقة» وأسسوا مجموعة من الموانئ أسموها «المدن الخمس. Pentapolis» فازدهرت حضارتهم فيها ازدهارا ملحوظا، لا سيما بعدما عزز الاسكندر المقدوني، بفتوحاته، مكانة اليونان عامة، في شرقي حوض المتوسط. ومن أسماء «المدن الخمس» علق بذاكرة التاريخ، بوجه خاص، اسم «قورينا، Cyrenae»، ثم اسم «بيرينيشي، Berenice» التي كانت مشيدة على موقع «بنغازي» الحالية، وفي «قورينا» ولد الشاعر اليوناني المشهور «كاليماخوس. Kallimakhos» الذي تغنى في إحدى قصائده بجمال «الليبيات الشقراوات». ولعل تعامل أولئك

الأمازيغيون يريدونها، ولم يتصرف القرطاجيون التصرف الكفيل بتلافي وقوعها، أو باحتواء مفعولها. لقد ظلت العلاقات طيبة بين القرطاجيين و«مضيفهم» ما دام دورهم ينحصر في التبادل والمتاجرة، أي طوال ثلاثة قرون ونيف، ولما أخذت أنظارهم تتجه إلى الأراضي الداخلية، وصاروا يستعمرون المنطقة المحيطة بمدينتهم، تغير الوضع شيئا فشيئا، ابتداء من أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وليس من المجازفة أن يقال إن التعاون الأمازيغي القرطاجي، لو بلغ مداه في المجالين السياسي والحربي، كما بلغه في المجالين التجاري والثقافي، لغير مجرى التاريخ قليلا أو كثيرا.

لكن واقع الأمر هو أن التعايش السلمي انقضى عهده بسبب رغبة قرطاج في التوسع خارج مجالها البحري الذي منحت إياه عن رضى، فنشبت بينها وبين الأمازيغيين تحرشات ابتداء من مطلع القرن الرابع قبل الميلاد، فحاصروها حصارا شديدا سنة 396 ق.م، واستغل الصقيليون كل فرصة لأغراء أحد الطرفين بالآخر (les Berbèrs, 44,45,46). نقلا عن Diôdoris وPolubios وغيرهما). وتطورت التحرشات إلى عداوة وتباغض، فثار على قرطاج جيشها، المؤلف في أغليبيته من «البربر»، بقيادة «ماطوس. Mathos» سنة 241 ق.م، ولم تعد المياه إلى مجاريها إلا بعد ثلاث سنوات من التناحر، سيطرت إثرها قرطاج على الموقف، فشارك الأمازيغيون في الحرب ضد روما — الحرب البونية الثانية — وحقق حنْبعل، بفضل قوتهم الحربية، انتصاراته الخالدة، في شبه الجزيرة الإيطالية، فلم يخف على الرومان دور «البربر» في تلك الانتصارات كما يشهد على ذلك

## تاريخ الأمازيغيين.

المستعمر» المقيم». حالفوا أو حالف بعضهم روما للتخلص من قرطاجة، ثم حالفوا الوندال للتخلص من روما (Les Berbers, 77). نقلا عن القديس أغوستينوس. وعن جيون (Gibbon). وشاركوهم في تخريب «المدينة الخالدة» وتخريب مدن أخرى إيطالية، وفاسموهم الأسلاب (85, les Berbers). نقلا عن فيكتوريس فيتنسيس. Victoris Vitensis. وهو Victor de Vite المولود بقرطاجة سنة 455 م). ثم لم يلبثوا أن عادوهم وحاربوهم. انطلقا من جبال «أوراس» بوجه خاص. وكبدوهم» أشنع هزيمة تكبدوها في تاريخهم «حسب ما رواه» بروكوبيوس. «Procopios (les Berbers, 87). ولما هاجم البيزانتيون مواقع الوندال في افريقية الشمالية، وهي مواقع غير ذات أهمية (les Berbers). لزم الأمازيغيون الحياذ أول الأمر إلى أن انهزم أعداؤهم «القدماء». فواجهوا إذاك أعداءهم» الجدد». ونظرا لأهمية المواجهة الطويلة الشاقة بينهم وبين الرومان، ثم بينهم وبين البيزانتيين، ورثة الرومان، سنحلل المسألة بشيء من التفصيل فيما بعد، لأن ذلك يقتضي معرفة ما لأوضاع الأمازيغيين السياسية قبل أن يدهم الاستعمار الروماني بعض أراضيهم. أما الوندال فلم تمكث جحافلهم في الشمال الأفريقي مدة طويلة، ولم تتأثر البلاد بمجيئهم تأثرا حضاريا يذكر.

### 2\_ سلالات أمازيغية حكمت مصر القديمة قرونا :

لم يتأت للأمازيغيين، قبل إسلامهم، أن يفتحوا أراضي أجنبية ويستعمروها، كما تأتى ذلك لغيرهم من الأمم، وللرومان خاصة. لكن سلالات منهم وجدت مع ذلك سبيلا غير مباشر

اليونانيين مع القبائل الأمازيغية المحيطة بـ «المدن الخمس» كانت تجارية قبل كل شيء. لكن، على ما يظهر، قد تم بين العنصرين، الأمازيغي واليوناني نوع من التمازج الثقافي الديني، بما أن عبادة الآلهة الليبي «أمون Ammon»، الذي كان معبده الأكبر بواحة «سيوا»، تسربت، على طريق «أرض قورينا، Cyrenaica» إلى القارة الأوربية، وانتشرت هناك، حتى في الأوساط الراقية (Histoire générale ... I, 347). وذاع صيت «أمون» الليبي إلى درجة أن مستشاري الاسكندر المقدوني أشاروا عليه بان يفتح «سيوا» كي يستتب له الأمر في مصر، فعمل بمشورتهم، وقطع بأثقالة مسافة ستمائة كيلومتر عبر الصحراء، ليعوج مدة ما بتلك الواحة النائية الصغيرة، وقد بلغت أصداء تلك الزيارة جزيرة العرب نفسها، كما يشهد بذلك قول الشاعر أمية بن أبي الصلت (لسان العرب، مادة : نأط) :

بلغ المشارق والمغرب يتغى \*\*\*\*\* أسباب أمر من حكيم مرشد  
فأتى مغيب الشمس عند مآبها \*\*\*\*\* في عين ذي خلب ونأط حرمد  
وما هو قمين بالذكر أن سكان واحة «سيوا» كانوا حتى الاربعينات أو الخمسينات من هذا القرن يتكلمون اللغة الأمازيغية. لقد خصص «المستزغ» الفرنسي «لاووست» Laoust كتابا للتعريف بلهجتهم، ولا يستبعد أن يوجد من بينهم، بكثرة أو بقلة، من لا يزال يتكلمها حتى الآن.

وبعد هذا الاستطراد، الذي كان ضروريا، نعود إلى صلب الموضوع. لقد استرعى انتباه المؤرخين أن «البربر» كانوا باستمرار يتحالفون مع كل مستعمر، طارىء «رغبة في التخلص من

الخامسة والعشرين (Histoire du développement ... II, 26).

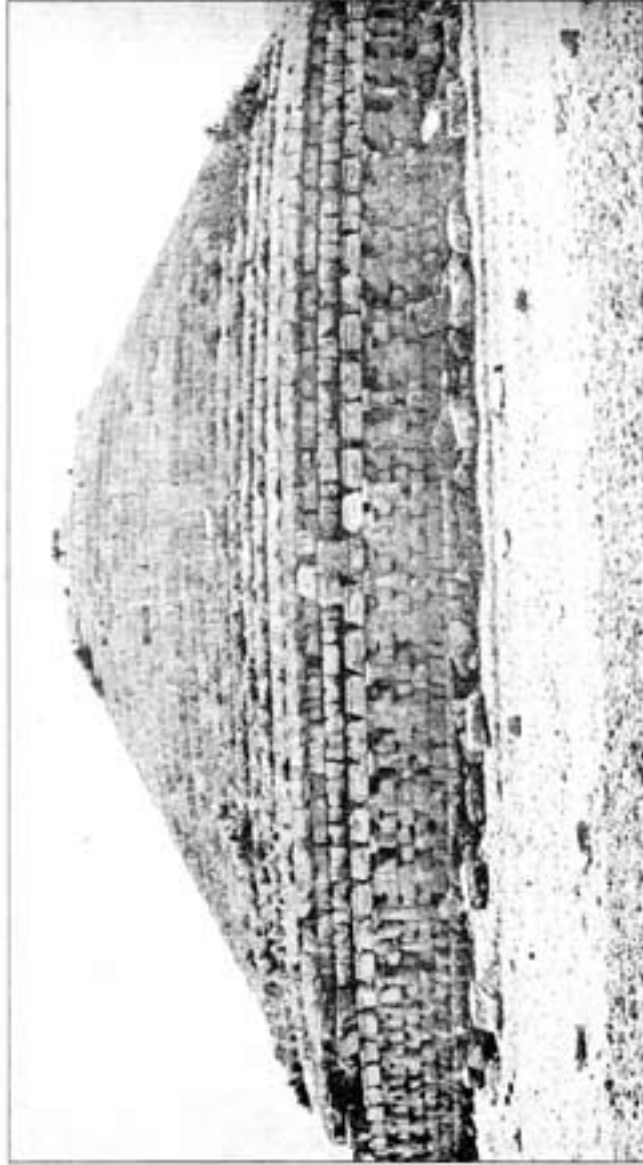
### 3 - ممالك أمازيغية قديمة تحاول جمع الشمل :

تخبرنا المصادر المصرية بأنه كان للأمازيغيين الليبيين ملوك، في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد. وتشير بعض المؤلفات اللاتينية إلى أن كلا من الملكين الأمازيغيين يارباس Iarbas ويوفاس Iopas (أو: يوفان Iopan) رغب في الزواج بالأميرة الفينيقية أليسا، لكن لا بد من التساؤل بشأن ذلك: أكان ملوك المصادر المصرية ملوكا حقا، أم كانوا زعماء قبائل، يتكلمون باسم قبائلهم؟ ثم، ما هو الجانب الأسطوري وما هو الجانب التاريخي في ما روي بخصوص خطبة «يارباس «و» يوفان «لأليسا؟ وإنما من المحقق أنه كان بشرقي ليبيا، في غضون القرن الخامس ق.م، ملك يسمى «أدريكان، Adrican». «بشهادة من هيرودوتوس Herodotos. ومن المحقق أيضا أنه كان لبعض أراضي نوميديا ملوك، ولبعض أراضي موريتانيا ملوك، ابتداء من القرن الرابع الميلادي ق.م. ويعتقد جل المؤرخين أن الملك «أليماس، Ailimas «هو الذي أسس دولة «المازليين «التي ينتمي إليها» ماسينيزا». روى عنه «ديودوروس «أنه قتل في معركة خاضها ضد طاغية» سيراقوسا»، «أكاتوكليس «حوالي سنة 310 ق.م (l'Afrique du Nord... 68,71).

أما في القرن الثالث ق.م، فقد أخذت معالم الممالك الأمازيغية تتضح، بحيث يمكن المؤرخين أن يدرسوها حتى في بعض مظاهر سيادتها، ومن ملوكها الأول الذين حاولوا بجد

للاستيلاء على الملك في أعظم مملكة عرفها التاريخ، وأطولها عمرا، ألا وهي مصر الفرعونية، فتعاقب على أراضي الكنانة فراعنة» لبيون «لعدة قرون، ابتداء من القرن العاشر قبل الميلاد. ثم ذلك بعد تسلسل أحداث شهدتها مصر فيما بين سنة 1227 و سنة 935 ق.م.

لما أوقف الفرعون» راعامسيس «الثالث الهجمات الخارجية التي تعرضت لها مصر، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يتمكن من إيقاف الزحف الأمازيغي (الليبي) إيقافا كاملا. فاستوطنت قبائل»بربرية «وادي النيل، وصارت تمد الجيوش الفرعونية بالجنود. وفي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد كان عدد من أولئك» المرتزقة «قد تبوؤوا مناصب عمال في الأقاليم، وكانت الأوضاع السياسية متردية. فلم يوشك القرن الأول من الألف الأول أن ينتهي حتى استولى الزعيم الليبي» شيشونق، Chechonq (ولعله في الواقع شيشونغ) على العرش المصري ودشن عهد الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين، سنة 935 ق.م، واتخذ» بوباستيس، Bubastis عاصمة له، وعلى يده عادت الأوضاع في وادي النيل إلى نوع من الاستقرار، فرد لمصر نفوذها السياسي في الشام بالاستيلاء على» أوكاريت، Ugarit»، وجيبيل Byblos، و«أورشليم»، بيت المقدس الحالي. وقد ظل الحكم متوارثا بين الأسر الأمازيغية الليبية إلى حوالي 715 ق.م، وكان آخر فرعون أمازيغي» صريح «ساد مصر هو» تافناخت، Tafnakht من الأسرة الرابعة والعشرين، فخلفه فراعنة» هجاء «(أمازيغيون إثيوبيون) عندما دُشن عهد الأسرة



نموذج أول من الأضرحة الأمازيغية التي يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد وهو ضريح "ميدراسن" بالجزائر.

أن يجمعوا شمل الأمازيغيين « سيفاكس، أو سيفاقس، أو سيفاغس، Syphax » و« ماسينيزا، Masinissa » و« باكا، Baga ». عاش هؤلاء الملوك الثلاثة في زمن واحد، في أواخر القرن الثالث ق.م. حالف أولهم قرطاجة وحاربها ثانيهم بسند من ثالثهم. كان سيفاكس ملكا على قبائل « ماسايسولي » التي لم يحدد التاريخ مواطنها بالضبط، وكان « ماسينيزا » ملكا على قبائل « مازيلا » (أو « ماسيلا ») النوميديّة، وكان « باكا » ملكا على جزء من أراضي موريتانيا يمتد من المحيط غربا إلى نهر « مولوتشا » شرقا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس جنوبا فيما رُجِح. لم يكن للملك « سيفاكس » عقب في الملك، لأن « ماسينيزا » هو الذي استولى على مناطق نفوذه بعد أن هزمه وأسرّه. أما « باكا » الموريتاني فقد ورث عرشه أسرة « بوكوس » التي لا يدري أهي من سلالته أم من غير سلالته، لأن الحقبة التي تفصل عهد « باكا » عن عهد « بوكوس » الأول تناهز القرن، ولا يعرف شيء عما حدث فيها.

فبينما كانت كل مملكة من هذه الممالك الثلاث تحاول جمع الشمل في المنطقة الخاضعة لنفوذها، كانت الحروب تتوالى بين روما وقرطاجة. فنتج من ذلك أن كلا الطرفين المتناحرين صار يغري الأمازيغيين بالتحالف معه، ويستغل التنافس الذي يطبع علاقات الملوك بعضهم ببعض، وفي أثناء الحرب البونية الثانية استطاعت روما، بفضل معرفتها لمعطيات المجال السياسي « الإفريقي »، أن تكسب صداقة أشد الملوك حنقا على قرطاجة، وهو « ماسينيزا ». وأن تتحالف معه، فكانت تلك المحالفة هي



## تاريخ الأمازيغيين.

حمل التاج وضرب العملة باسمه ونظم الجيش. واستعان بابنه «أورمينا. Vermina» في تسيير الشؤون الحربية. ومع أنه تأثر إلى حد بتقاليد اليونان السياسية، كان يعتمد في ممارسة سلطته على مساعدة زعماء القبائل. كانت له علاقات دبلوماسية مع كل من قرطاجنة وروما. كانت لغة الحياة اليومية والتخاطب في مملكته هي الأمازيغية، وكانت لغة المكتوبات الرسمية هي الفينيقية، وكانت لغة الثقافة هي اليونانية. ولعل اسمه هو المقصود فيما كتبه ابن خلدون عن أصل «البربر» إذ قال إن جدهم «سفاكس». يعزز هذا الفرض أن بلوتارخوس Plutarkhos «زعم شيئاً من هذا القبيل (85, l'Afrique du Nord...).

في خضم الحرب البونية الثانية كانت كل من روما وقرطاجنة تترضى «سيفاكس» وتحاول أن تجره إلى جانبها. فسعى للإصلاح بين الطرفين ولم يفلح. بسبب تعنت روما. فاختار جانب قرطاجنة. بعد زواجه بإحدى بنات أعيانها. «صوفونيسبا». علما منه أن انتصار روما لن يكون له على «أفريقية» إلا عواقب وخيمة. لكن الرومان أجهوا إلى خصمه ومنافسه «المازيلي» الملك الشاب الطموح «ماسينيزا» وحالفوه. فحارب «سيفاكس» وهزمه وأسرته وسلمه لخلفائه. وورث مملكته. ولعل الأمير «أورمينا. Vermina» عاش بعد أبيه بضع سنوات. كما يدل على ذلك العثور على عملة فضية تحمل اسمه.

### ب - الملك «ماسينيزا» المازيلي (240 - 148 ق.م).

برزت شخصية هذا الملك أول ما برزت في كفاءته الحربية.

الثلمة الأولى التي تسربت منها الهيمنة السياسية الرومانية، شيئاً فشيئاً، إلى مراكز الحكم في أقطار المغرب كلها. ذلك أن روما اتخذت جميع أساليب الترغيب والترهيب منهجية لها لإغراء الملوك الأمازيغيين بعضهم ببعض. في مرحلة أولى، ثم أزال القناع عن وجهها في مرحلة ثانية وحاربت كل من امتنع أن يكون عميلاً لها. واستمرت على تلك الخطة ما يقرب من قرنين. موسعة نطاق سيطرتها في اتجاه الغرب إلى أن قضت على الممالك كلها، ولم تبق، بصورة شكلية، إلا على عرش موريتانيا. فأجلست عليه الأمير الأمازيغي الشاب يوبا بن يوبا الذي كانت قد أسرته، وهو صبي. بعد التخلص من أبيه. فظل يوبا لها عميلاً إلى أن توفي. فسار ابنه بطوليمايوس على نهجه. إلى أن استدرجه ابن خالته، الإمبراطور الروماني «كاليكولا. Caligula» إلى حضور احتفالات رسمية بمدينة «ليون» الغالية، حيث أمر باغتياله. سنة 40 م. وموته انقرضت الممالك الأمازيغية القديمة. جدول بتتابع السلالات الملكية الأمازيغية القديمة، في الزمان. ومطاردة الرومان لها في المكان

### 4 - نظرة عن أعمال الملوك القدماء البارزين.

#### أ- الملك سيفاكس المسائسولي. المتوفى سنة 203 ق.م.

لم يستطع المؤرخون ضبط حدود مملكته. فرجحوا أنها كانت للملكة عاصمة شرقية. هي «قيرطا، أو شيرتا، Cirta» وعاصمة غربية. حيث كان يقيم، هي «سيكا، Siga». لعل «سيفاكس» لم يكن في أول أمره سوى زعيم قبيلة تغلبت على قبائل أخرى. ثم

أنه لو لم يدركه الأجل قبل عزم روما على هدم قرطاجنة، لبذل قصارى جهده لانقاذها من الخراب، كي تكون قاعدة لملكه. وذلك ما كان الرومان يخشونه (Gsell, III, 354). فقوّضوا العاصمة البونية عن آخر مبانيتها. وقسموا الملك بين أبناء «ماسينيزا» الثلاثة حتى يضعف شأنهم. وشرعوا في تطبيق خطتهم الرامية إلى الاحتلال المباشر وإلى الاستعمار الاستيطاني للمناطق «النافعة» افريقية الشمالية.

أما فيما يرجع لتنظيم المملكة المازيلية، فقد كان «ماسينيزا» نموذجا من النماذج الأمازيغية القديمة كما وصفناها بصد الحديث عن «سيفاكس». إلا أن بقاءه على العرش مدة طويلة ما يقرب من ستين سنة: من حوالي 205 الى 148 ق.م. مكنه من إنجاز أعمال لم يسبقه إليها أحد.

وسع «ماسينيزا» حدود مملكته، وجعلها تمتد من وادي مولوتشا «غربا إلى أراضي طرابلس الحالية شرقا، ولم يفلت من قبضته إلا مملكة موريتانيا وما تبقى لقرطاجنة من ممتلكات حول المدينة. بعد انهزامها سنة 202 ق.م. وقد اضطره هذا الاتساع في رقعة الملك إلى التجوال المستمر عبر الاقاليم، على رأس جيوشه، وإلى مواصلة مساعيه الدبلوماسية من أجل إغراء روما بقرطاجنة. كان يحمل لقب «أكليد» (أي الملك باللغة الأمازيغية). وقد حاول هو أيضا ان ينظم مملكته على النمط الاغريقي المقدوني. فلبس التاج وحمل الصولجان، حسب ما يظهر في النقود التي ضربت له في عاصمته «قيرطا. أو شيرتا» (قسطنطينة الحالية فيما رجحه المؤرخون حتى الآن).

لقد استطاع أن يهزم «الماسايسولي» سيفاكس «الرومان من الانتصار على أمير جنرال عرفه التاريخ القديم، ألا وهو «حنعيل» القرطاجي. وذلك في معركة «زاما» الشهيرة. سنة 202 ق.م. (la Carthage punique, 284,85, Gsell, III, 268,280...). لقد كان سبب بغضه لقرطاجنة هو تمسكه بمبدأ «أفريقية للأفارقة!». وما أثار حفيظته ضدها بشكل خاص. حسب ما روي. هو تزويج القرطاجيين «سيفاكس» مخطوبته «صوفونيسبا»، والواقع أن جيرانه القرطاجيين كانوا متواطئين مع خصمه الماسايسولي قصد القضاء على ملكه. فلم يجد بدا من محالفة الرومان. مع إضمار غايته القصوى في نفسه، وهي إنشاء ملكة أمازيغية موحدة مستقلة عن كل نفوذ أجنبي. لا سيما أن اتفاقية الصلح بين روما وقرطاجنة (201 ق.م.) كانت تنص على أن من حقه أن يعمل من أجل استرجاع جميع الأراضي التي كانت بقبضة أجداده، في غير تحديد لتلك الأراضي. وإن لم يوفق فيما بعد. فلسببين اثنين: أولهما أنه شاخ وهرم ومات قبل أن تنهزم قرطاجنة انهزامها النهائي. وثانيهما أنه لم يهنيء أبناءه لمواصلة عمله بعد وفاته. بل ارتكب خطأ سياسيا باعتماده على الرومان وتنصيبهم أوصياء على عرشه بعد وفاته. لا شك أن حقه «القديم» على قرطاجنة هو الذي دفعه إلى ذلك، وأنه حينما أقدم على فعله ذلك كان خائر القوى. عقليا وبدنيا. يعيش مع ذكرياته أكثر مما يعيش مع الواقع. بما أنه توفي عن سن جاوزت التسعين. ولا شك أن الرومان كانوا على علم من نواياه. وأنهم راوغوه طيلة حياته حتى يظل وفياء لهم. وقد قدر المؤرخون

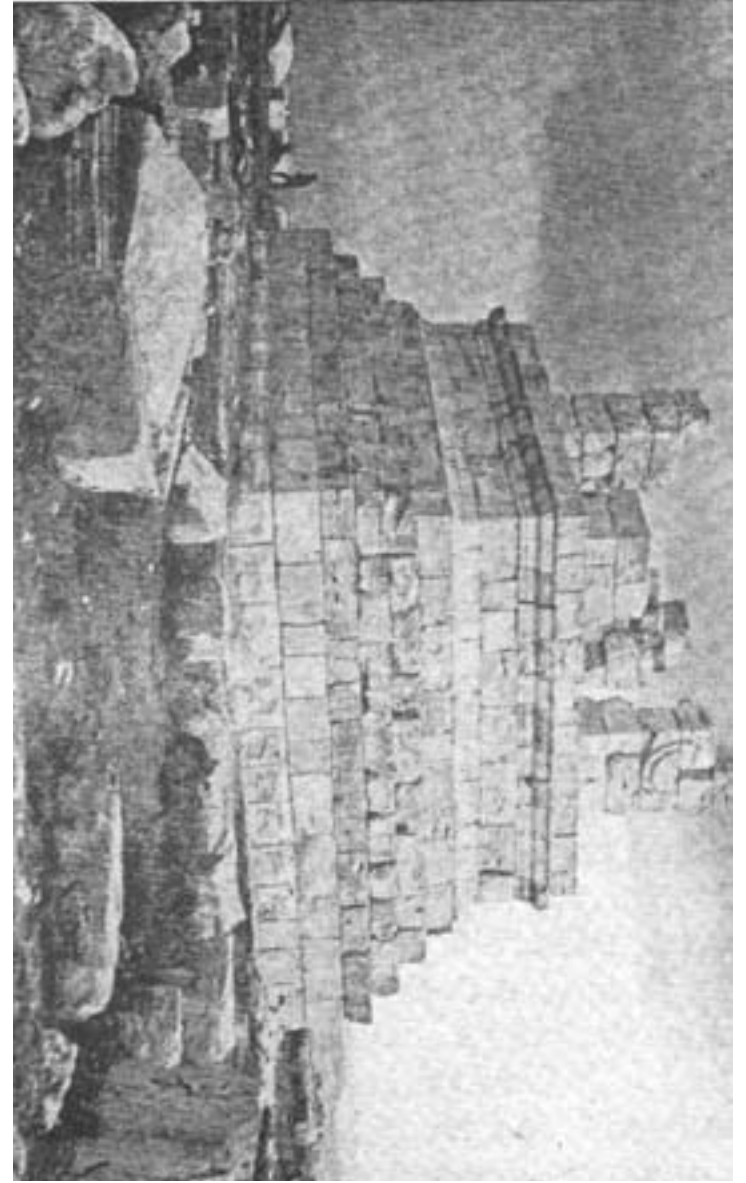
## تاريخ الأمازيغيين.

كان يحافظ على تماسك أطراف مملكته بالوسائل السياسية التقليدية، أي المصاهرات والتعاهد مع زعماء القبائل، وإيقاظ المشاعر الدينية، وبالحرب عند الضرورة (l'Afrique du Nord, 110, 109). فاستطاع بذلك أن يجبي الجبايات وأن يفرض على رعاياه نوعاً من الخدمة العسكرية، على غرار ما هو مألوف عند جميع الأمم ذات البنى الاجتماعية القبلية. وشجع السكان على تعاطي الزراعة وعلى الاستقرار في السكن. وأنشأ أسطولاً حربياً واسطولاً تجارياً، وفتح أبواب مملكته للتجار اليونانيين. وفي عهده انتشرت الثقافة البونية بين الأمازيغيين أكثر من ذي قبل، مع معاداته لقرطاجة. وقدم العاصمة «قيرطاً» عدد من الأدباء والفنانين اليونان، وجعلوا منها مدينة راقية في حياتها المادية والفكرية. كان الملك نفسه معجباً بالحضارة اليونانية، وكان يعمل بتقاليد الملوك اليونانيين، فأكل في الأثنية الفضية والذهبية، واتخذ جوقة من الموسيقيين الاغريق. ولاشك أن التجار اليونانيين كانوا يروجون بضاعتهم بفضل ولوعه بكل ما هو يوناني. وقد نسب اليه بعض المؤرخين إحداث الأبجدية الأمازيغية القديمة (تيفيناغ). مع انها أقدم بكثير مما توهموه.

### ج- الملك « بوكس الأول. Bocchus I » الموريتاني.

كانت مملكته أول الأمر هي التي ورثها عن عهد «باكاً» السالف الذكر. لكنه اغتنم فرصة انهزام «يوكرتن» أمام الجيوش الرومانية واستولى على الجزء الغربي من مملكة المازيليين. وقد أُلصق به التاريخ، كما كتبه المؤلفون اللاتينيون، تهمة الغدر بصهره وحليفه يوكرتن المازيلي. ولا سبيل إلى التعقيب على

بقايا نموذج ثان من الأضرحة الأمازيغية التي يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد. توجد بالجزائر، في المكان المسمى بالخرطوم.



### د - الملك «يوكُرتن» Yugurthin «المازيلي:

يوكُرتن ابن غير شرعي لماستانابعل بن ماسينيزا، ألحقه عمه الملك «ميكوسا» بابنيه» أمفسال «و» أدربعل»، وجعله شريكا لهما في إرثه. وبعد وفاة ميكوسا «حارب» يوكُرتن «ابني عمه وتخلص منهما بالقتل على التوالي، وانفرد بالملك. ثم تصدى للرومان (112 ق.م). فظلت الحرب سجلا بينه وبينهم الى ان تخلى عنه حموه وحليفه الملك «بوكُوس» الاول الموريتاني. فأسره الرومان سنة 105 ق.م. وحملوه الى روما حيث سجنوه، ثم بطشوا به في سجنه. وقد سجل التاريخ عن هذا الملك انه كان ذا حنكة حربية نادرة، وأنه كان من اشد المقاومين الذين عارضوا روما في سياستها العدوانية التوسعية، زمان صولتها على ضفتي البحر المتوسط، ولذا تسبب صموده في هزات اجتماعية عنيفة اجتاحت القواعد الايطالية كلها. وللملك «يوكُرتن» «قولة مشهورة ندد فيها بجشع الرومان عامة ونبلائهم خاصة. قال: «روما، ابته المدينة المعروضة للبيع! أنت هالكة لو تجددين مشتريا! «وقد أُرِّخ حربه مع الرومان الكاتب اللاتيني» سالوستيوس».

### هـ - الملك "يوبا الاول Yuba I"

في خضم الحرب الاهلية التي نشبت بين انصار القائدين الرومانيين «يوليوس قيصر» و«بومبيوس Pompeius»، شعر الملك المازيلي يوبا الاول بان تمثال رأسى برونزي للملك يوبا الثاني عثر عليه في أنقاض ويلي. قيصر، في حالة انتصاره، سيتشدد في سياسته الافريقية، وذلك لانه كان له به سابق معرفة.

حكمهم، نظرا لقله المصادر.

ولا يُدري أين كانت عاصمة المملكة الموريتانية في عهد بوكُوس الاول، إلا أن بعض المؤرخين من المعاصرين يعتقدون أن ذلك الملك كان ينتقل بين عواصم متعددة، وأنه بدون شك استولى على مدينة «سيكا» SIGA «المازيلية بعد انهزام» يوكُرتن «سنة 105 ق.م. وعلى كل حال، كانت مملكته تحتضن مجموعة من المراكز الحضرية، نخص منها بالذكر تينجي (طنجة)، وتامودا وويلي (ويلي ما قبل العهد الروماني).

مارس الملك بوكوس الأول «سلطته المطلقة» في حدود قدراته العسكرية، وفي حدود التعامل مع العصبية القبلية. كان له مجلس شورى من الأقارب والأصدقاء وبعض زعماء القبائل. وكان له ديوان للكتابة ولتدبير شؤون الجيش وكان عضده الأيمن في العمليات الحربية هو ابنه «ألووكس» Volux. «كانت تساعده في الاتصالات مع الخارج، ومع روما خاصة، هيئة سفراء من خمسة أعضاء. وكانت له دار للسكة، ومن أجل هذا كله كان بوكُوس الأول يعتبر نفسه أعظم ملك يوجد على وجه البسيطة، حسب ما رواه «سالوستيوس» Sallustius «الروماني. توفي فيما بين 80 و70 ق.م. فخلفه ابنه بوكُود الأول، ثم انقسمت المملكة الى شطرين، حكم أحدهما بوكُوس الثاني، وحكم الآخر بوكُود الثاني. وفي سنة 38 ق.م، تخلص بوكُوس من شريكه واستأثر بالملك، ولما توفي سنة 33 ق.م، لم يترك عقبا يخلفه، فبسطت روما نفوذها السياسي على موريتانيا، وولت عليها الأمير الأسير يوبا الثاني (25 ق.م).

«كل ملك مستقل برأيه قليلا او كثيرا. أخذت اذاك القبائل تحارب الرومان بصورة تلقائية، ففي الحقبة الممتدة من سنة 34 الى سنة 19 ق.م، دارت رحى الحرب بين الطرفين خمس مرات (les Africains 299, VII). ثم توالى المعارك طوال النصف الاول من القرن الاول الميلادي. فخرج من صفوف المقاومين زعماء وقواد حرب خلد التاريخ أسماءهم، أمثال «تاكفاريناس Tacfarinas» المنتمي لقبيلة «موسالاميس Mulalames» النوميديّة، «أيديمون، Aedemon». احد عتقاء الملك «بطولاميس» . ولم يكف روما مؤونة الحرب في المواطن الامازيغية كونها تولي على عرش موريتانيا ملكا ربه في أحضانها، فمن المفارقات أن رعايا «يوبا» الثاني كانوا يقدرسونه ويمقتونه في آن واحد (les Berbers, I, 49, 50). استمرت المقاومة طوال عهد الاحتلال، فشن الامازيغيون الغارات على المستعمر حيثما وجد، حتى في الأندلس (les Berbers, I, 56). واضطر الامبراطور «أدريانوس Adrianus» . في أوائل القرن الثاني الميلادي (122 م.) الى زيارة مواقع المواجهة «ليحارب الموريتانيين. pour» (55, 56, I, combattre les Maures). لكن روما لم تجد حلا لقضية المقاومة الامازيغية (Rome et les Berbères, 176). فاستمرت الاوضاع على ما كانت عليه (les Berbers, 55, 77, I, ...). الى ان تعاون «البربر مع الوندال وقوّضوا أركان الوجود الروماني في» افريقية الشمالية». ثم خربوا روما نفسها. وما يجدر التنبيه له هو ان الامبراطور الروماني «الافريقي الاصل» «كاراكالا» Caracalla منح شعوب المستعمرات حق المواطنة الرومانية (212 م.). فلم يفد ذلك روما شيئا في

فحالف من اجل ذلك خصمه «بومبيوس». بينما حالف الملكان الموريتانيان بوكود الثاني وبوكوس الثاني يوليوس قيصر. فلما كان النصر من حظ القيصرين، وجد يوبا نفسه معزولا عن جيشه وعن أسرته، فعزم على الانتحار بطريقة فريدة من نوعها، ذلك أنه دعا للمبارزة آخر رفيق وجده بجنبه، وهو قائد روماني، فتضاربا الى أن أردى كل منهما الآخر قتيلًا (46 ق.م.).

وما روي عن هذا الملك انه كان يراود فكرة توحيد الاراضي الامازيغية كلها تحت رايته، وانه كان شديد الغيرة على سيادة مملكته، بحيث انه كان، مثلا، يمنع على الضباط الرومانيين لبس البرنس الاحمر، لأن البرنس الاحمر كان هو شعار ملكه، لا يليسه الا هو. كان ابنه وسميه «يوبا» حين وفاته، طفلا صغيرا عمره بين خمس وسبع سنووات، أسره «يوليوس قيصر» وحمله الى روما، حيث نشأ في كنف بلاط الامبراطور «أوغوستوس» خلف قيصر، وهو الذي نصبه ملكا على موريتانيا.

### 5 - المقاومة الشعبية تنغص على الرومان والبيزنطيين مُقامهم في الربوع الامازيغية.

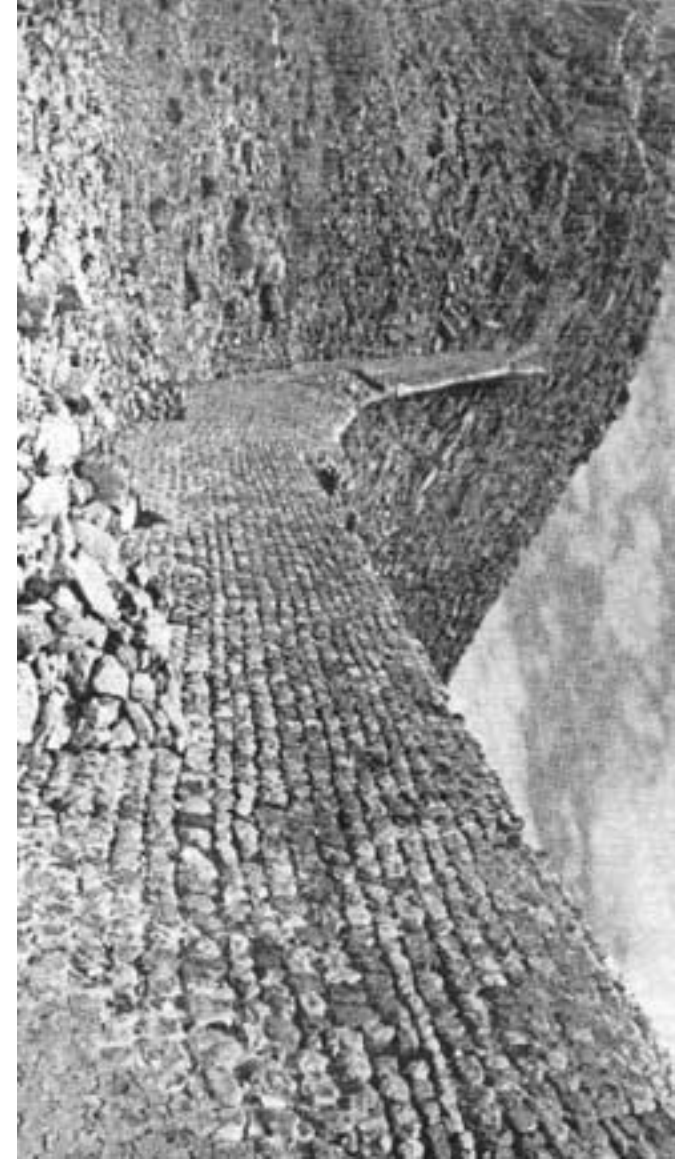
لما لم يوفق الملوك في ايقاف الزحف الاستعماري الروماني، لا من جراء ضعف حربي، ولكن من جراء ضعف في التعامل السياسي مع الاحداث راجع بدون شك الى المنافسات الداخلية، أخذت ظاهرة المقاومة الشعبية تبرز للوجود، وليس من المصادفة أن يحدث ذلك في العقد الرابع من القرن الاول قبل الميلاد، بل حدث في الوقت المناسب، اي بعدما اختفى عن الساحة «الافريقية

## تاريخ الأمازيغيين.

تعرضها للهجمات الأمازيغية، والسبب هو أن القبائل الأشد بأسا لم تنضو تحت لواء الامبراطورية، بل لاذت بالجبال والصحاري خارج المنطقة المحصنة بقلع «الليمس» limes وجدرانها وخنادقه التي لا تزال نشهد بقايا بعضها على طول الخط الممتد بين الرباط وتازة.

وبالتحصين أيضا ضمن البيزانتيون بقاء مهمشا لمواقعهم على الساحل المتوسطي الأفريقي، لمدة قرن، دون أن يتمكنوا من التوغل في الأراضي الداخلية كما فعلوا في مصر والشام وآسيا الصغرى وإيطاليا. ضمنوا لها البقاء، دون ضمان الأمن. كانوا عادة لا ينتقلون من موقع إلى موقع إلا على طريق البحر، ولما امتدت أنظار الروم إلى بعض أراضي أفريقيا ونوميديا الشرقية، نشطت المقاومة الأمازيغية نشاطا كبيرا بقيادة زعماء من قبائل «أوراس»، و«قبائل» اللوانة «الليبية امثال» يابداس Iabdas «و» أنتالاس Antalas «و» كاركاسان. Carcasan. فانهمزم البيزانتيون عدة مرات، مع جئوئهم إلى الغدر في غير مناسبة، وقتل منهم عدد من القواد العسكريين الكبار، فاضطروا مرارا إلى أداء الفدى وتقديم الهدايا النفيسة، فبالإضافة إلى المناوشات التي تحدث بين الطرفين باستمرار، قد دارت بينهما معارك طاحنة سنة 537 م، وسنة 543 م، وسنة 550 م، وسنة 563 م، فبرز في تلك المعارك قواد عسكريون أمازيغيون مهرة امثال « كزمول، Gazmul » الذي هزم بالتوالي ثلاثة جنرالات وقتلهم، وكان المقاومون كلما انهزموا لاذوا بالجبال أو الصحراء، وكان الأسرى منهم يتحدون الجنود الروم ويسبون الامبراطور

تقع قبائل الأمازيغيين في شمال إفريقيا، وهي من أهم القبائل التي كانت تعيش في تلك المنطقة.



# الآمازيغيون عند الفتح الاسلامي وبعد إسلامهم.

## 1 \_ الآمازيغيون والفتح الاسلامي:

بعدها يكون المرء قد اطلع على ردود الفعل التي كانت تصدر قبل الاسلام. عن « البربر» كلما هوجموا في عقر دارهم. يكون قد أدرك الاسباب التي من أجلها لم تفتح « أفريقية الشمالية » كاملة للدين الحمدي إلا بعد لأي وعناء. كان من الطبيعي أن ينظر الآمازيغيون إلى الفاتحين الاول نظرة المغزوّ للغازي. لا سيما أن العرب كانوا يطرقون الأبواب مصحوبين بقضهم وقضيضهم (فتوح أفريقية والاندلس. 20). مسلحين مستعدين للقتال ظاهري الرغبة في السبي والغنم. فلا غرابة والحالة تلك. أن ينهض الأهالي لرد ما يرونه هجوما استعماريًا من النوع الذي كان لهم به سابق عهد. وبعد الاصطدامات الاولى تحركت ديناميكية الحرب، وقويت عند الجانبين كليهما إرادة الانتقام والاخت بالثأر؛ واستمر الوضع على هذه الحال قرنا كاملا. أي من عهد الغزوات الأولى التي كانت تنطلق من مصر (ابن الحكم) إلى « معركة الأشرف » فمعركة « بكدورة » (من حوالي 640/20

وهم مصفدون. فأدرك القواد البيزانتيون أن « البربر لا يمكن ان يهزمهم الا البربر! » فاستدرجوا قبائل أوراس التي التحالف معهم بقيادة « يابداس » و« إفيسداياس. Ifisdaias. » « فقتل » أنتالاس ». وفي سنة 597 م خادع الروم « البربر » وغدروا بهم غدرا شنيعا. وهزموهم. ثم تواصلت المناوشات التي ان جاء الاسلام (les Berbers, 92...108).

## تاريخ الأمازيغيين

الاستبداد الأجنبي؛ وخير شاهد على ذلك مواقفهم الدينية في ثلاث حقب من تاريخهم الطويل.

لما أخذت المسيحية تنتشر في الجزء الغربي من حوض البحر المتوسط، خلال الأقرن الثلاثة الأولى بعد الميلاد، بقي القياصرة الرومانيون على وثنيتهم، كانوا ينصبون أنفسهم آلهة ويحرصون على أن يحتفل بهم، بصفتهم آلهة في جميع أنحاء الإمبراطورية. لكن «دينهم» ذلك لم يجد طريقا إلى قلوب الأمازيغيين؛ بل نشطت ضده المعتقدات المحلية في أفريقيا الشمالية». لاسيما في الأوساط المستضعفة. وعند ظهور المسيحية، أمر القياصرة باضطهاد كل متنصر؛ فصار الأمازيغيون يدخلون أفواجا في الدين الجديد. فلم ينصرم القرن الميلادي الثاني إلى أن كان المتنصرون يعتدون بعددهم ويزعمون أنهم يشكّلون أغلبية السكان. فصار الحكام الرومانيون. ابتداء من سنة 180م، يُنزلون بهم من أصناف التعذيب والقتل ما لم ينزلوه بأي شعب آخر تنصر (C.A. Julien, I, 184). ولما انقلب الوضع الديني في روما نفسها، إذ تخلى الإمبراطور «قونستانتينوس الأول، Constantinus I» عن الوثنية. سنة 313م، واتخذ المسيحية دينا للدولة. لم يلبث أن ظهر من بين النصارى الأمازيغيين ثلة من الزعماء الروحيين أعلنوا انشقاقهم عن الكنيسة الرسمية: فسُمّوا بـ «الدوناتيين، Donatistes» نسبة إلى «دوناتوس، Donatus» أحد منشطي حركتهم (Prosopographie, 292...303). وانتشرت دعوتهم في البوادي خاصة، واستمرت تنفخ في النفوس روح المقاومة المعنوية

إلى (741/123) اللتين حسمتا النزاع، وخلصتا المغرب نهائيا من النفوذ السياسي المشرقي. ومن هذا المنظور ينبغي أن يفهم دور كل من كسيلة في مقاومته عقبة بن نافع، ودهيا (التي لقبها العرب بالكاهنة) في تصديها لجيوش حسان بن النعمان، وميسرة، ثم عبد الحميد الزناتي في مواجهتهما للجيش الأموي العرمرم.

إن من يتتبع مراحل معركة بكدورة مثلا، ويحلل أساليب الحرب فيها من جهة «البربر» يدرك أن هناك تجارب سابقة في ملاقاته كل وافد غير مسالم، كل من له علم بتاريخ قدماء الأمازيغيين يسلم بأن كسيلة ودهيا وميسرة وغيرهم من الثوار «إنما واصلوا سلسلة من الانتفاضات الشعبية الدفاعية في نطاق الخطة التي دشنها» تاكفاريناس «و» أيديمون «و» كاركاسان «في غابر الأزمان، وعمل بها، في تلقائية، كل من محمد بن عبد الكريم الخطابي وموحا وحمّو الزياني (بتفخيم الزاي) وعسّو وباسلام وغيرهم، في الثلث الأول من هذا القرن الميلادي العشرين الذي نحن فيه. ثم إن لعزم ملوك المغرب، أمثال المولى إسماعيل والحسن الأول ومحمد الخامس، على مناهضة الاستعمار بالحكمة والقوة معا، جذورا في التاريخ زُرعت بذورها الأولى في عهد «ماسينيزا» «و» يوكرتن «و» يوبا «الأول، منذ ألفي سنة وتيف.

وما هو مثبت أيضا أن الأمازيغيين واجهوا الأطماع الخارجية بالصمود الثقافي كما واجهوها بالسلاح الحربي (la Résistance africaine). فرفعوا غير ما مرة راية العقيدة للتخلص من



عومل الفرنسيون والاسبان والايطاليون من قبل الأهالي.

المبدأ الثاني: هو أن كل دولة إسلامية؛ لا يمكن أن تكون إلا دولة إسلامية؛ لا ينبغي لها أن تلتمس مشروعيتها في انتماء سلالي أو عرقي. بل يجب عليها أن تلتمسها في التقوى وصدق العقيدة. رغم ما يترتب على ذلك عادة من الزيادات ومن تبادل القذف بالزندقة أو التجسيم وما إلى ذلك من أنواع الكفر.

هذا المبدأ الثاني لم يعمل به المؤرخون - عربا كانوا أو أمازيغيين مستعربين - لما صنّفوا الدول التي تعاقبت على الحكم إلى «بربرية» و«إلى» عربية». وذلك لأسباب، أهمها أن العرب و«البربر» على السواء لم يتخلصوا من الأنماط الفكرية القبلية التي تستوجب أن يؤرخ للنسب والسلالة والعرق. لا للأرض والوطن.

هذا. بينما تقتضي الموضوعية العلمية أن ينظر إلى جميع الدول الإسلامية التي تتابعت أو تزامنت على أراضي المغرب والجزائر وتونس وليبيا بصفتها «عربية» و«أمازيغية» في آن واحد (وفي بعض الحالات: عربية أمازيغية تركية):

هي عربية بمنزعتها الأيديولوجية الإسلامي الذي بموجبه تقدر اللغة العربية وتستلهم الروح المشرقية باستمرار، والذي لا يمكن التخلي عنه علنا في ممارسة الحكم. وما ادعاء بعض الدول الانتماء إلى الدوحة النبوية، وما تأكيد بعضها الآخر، بالخاص، لصحة انتمائها إلى بيت الشرف، إلا تعزيز وتزكية لذلك المنزح.

وهي أمازيغية بالبيئة الجغرافية وما توفره من سند ديموغرافي بشري لكل مرشح للحكم، وبالتربة السوسولوجية وما أرسب

للمروان ثم للبيزانتيين بعدهم. إلى أن جاء الإسلام، وذلك رغم ما لقيه «المنشقون» من أنواع التنكيل والتشريد. ورغم مساندة القديس «أوغوستينوس» Saint Augustin «الأمازيغي الأصل» للكنيسة الرومانية الرسمية (Les Berbers, I, 63, 64). فهل من الجازفة أن يرى المؤرخ. ذو النظرة الشمولية، في «الدوناتية» سابقة تفسر بوضوح ما حدث في «أفريقية الشمالية» بين الإسلام» الرسمي «الأموي وبين الخوارج المغاربة؟

ألم يكن سبب «الانشقاق» سياسيا قبل أن يكون دينيا. في الحالات الثلاث: تنصّر الأمازيغيين إذ كان القياصرة وثنيين. وانشقاقهم عن الكنيسة الرسمية إذ تنصّر القياصرة. واتباعهم مذهب الخوارج ثورة منهم على «سنية» الأمويين؟ ثم إن من حقنا أن نتساءل: هل اتخذ المغاربة المالكية مذهباً لهم على سبيل المصادفة فقط؟ ولما انفردوا بها أو كادوا؟

### 2 - الدول الأمازيغية في العهد الإسلامي.

نرى من الضروري، بادية بدء، أن نناقش المقاييس التي صُنفت بمقتضاها الدول التي تعاقبت على الحكم في أقطار المغرب الكبير، منذ أواخر القرن الثاني الهجري، إلى «عربية» وإلى «بربرية». نظريا كان ينبغي لتلك المقاييس أن تنبني على مبدعين اثنين لا ثالث لهما:

المبدأ الأول: هو أن كل من صادر الحكم في «أفريقية الشمالية» كليا أو جزئيا، لمدة ما، في العهد الإسلامي، ولم يكن مسلما، لا يمكن أن يعتبر إلا مستعمرا دخيلا. وبهذه الصفة

في الاقبال الاضطراري على «الثقافة» l'acculturation. «خاصة اللغوية، لما فيها من مزايا حضارية، ورغم ما فيها من عوائق ومثبطات لنمو الثقافة الذاتية. وسنبين في الأخير أسباب ركود الثقافة الذاتية بما هو داخلي من تلك الأسباب وما هو خارجي.

ولنا بعد هذا التحفظ المبدئي في تقبل التصانيف الجاري بها العمل أن نستعرض أسماء الدول الأمازيغية التي حكمت لمدّة ما إقليميا أو قطرا أو مجموعة أقطار أو أقاليم، إما في «أفريقية الشمالية» وإما في الأندلس؛ نوردها في جدول بياني، كما عرّف بها المؤرخون التقليديون، مع الإشارة إلى اسم كل دولة منها، وإلى مجال نفوذها السياسي. وقد كُتبت في هذا البيان أسماء الدول الكبرى والمتوسطة بحروف بارزة، وأسماء الدول الصغرى والأقل أهمية بحروف عادية. أما تداخل العهود بين بعض الدول المتزامنة أو المتعاقبة، أو اشتراك أجزاء من مجالات نفوذها فراجع إلى تنازعها الحكم بينها أو تداولها إياها.

فيها التاريخ طوال آلاف السنين من عادات وعقليات، واستعداد لرد الفعل المناسب في كل حالة سبق أن تكررت عبر الزمان. أما اللغة فلا يمكن أن تكون وحدها هي المقياس. لأن الأمازيغي المستعرب، ما لم يُنقل عن «تربيته» الاجتماعية الأولى، يحتفظ، من حيث لا يشعر، بما كان متأصلا في شخصيته من ميزات؛ ولأن العربي الأصل المنغمس منذ أجيال في لغة المجتمع الأمازيغي» يتميز «من حيث لا يشعر، لا محالة، في مقومات كيانه المادية والمعنوية، أضف إلى هذا كله أن البوّن بين الطبائع العربية والطبائع الأمازيغية ليس شاسعا.

ومهما يكن في هذه الاعتبارات من المطابقة أو عدم المطابقة للواقع، فإن التأمّل لتاريخ «أفريقية الشمالية» - أي لتاريخ إمازيغن - لا يمكنه إلا أن يسلم بأن في ماجرياته، ودوراته الكبرى المتكررة، وعوامله السوسيوولوجية، ما يلفت النظر إلى نوع من التواصل بين ماضٍ سحيق في القدم وماغز جد قريب وكأنه حاضر، تتجلى استمرارية التاريخ «المغاري» في علاقات الحكام بالمحكومين، من حيث إن الرعية تنزع دائما إلى التحرر المطلق، بينما ينزع الحكم المركزي إلى الاستبداد، فتنتج من ذلك أوضاع سياسية دائمة التوتر يتولد فيها العنف من العنف داخل حلقة مفرغة.

وتتجلى استمرارية التاريخ «المغاري» في الطرائق التي يواجه بها الأهالي التدخلات الأجنبية، على المستويين الرسمي والشعبي. وتتجلى تلك الاستمرارية في توظيف القيم الروحية من أجل التحرر، كلما باءت المحاولات الأخرى بالفشل؛ كما تتجلى

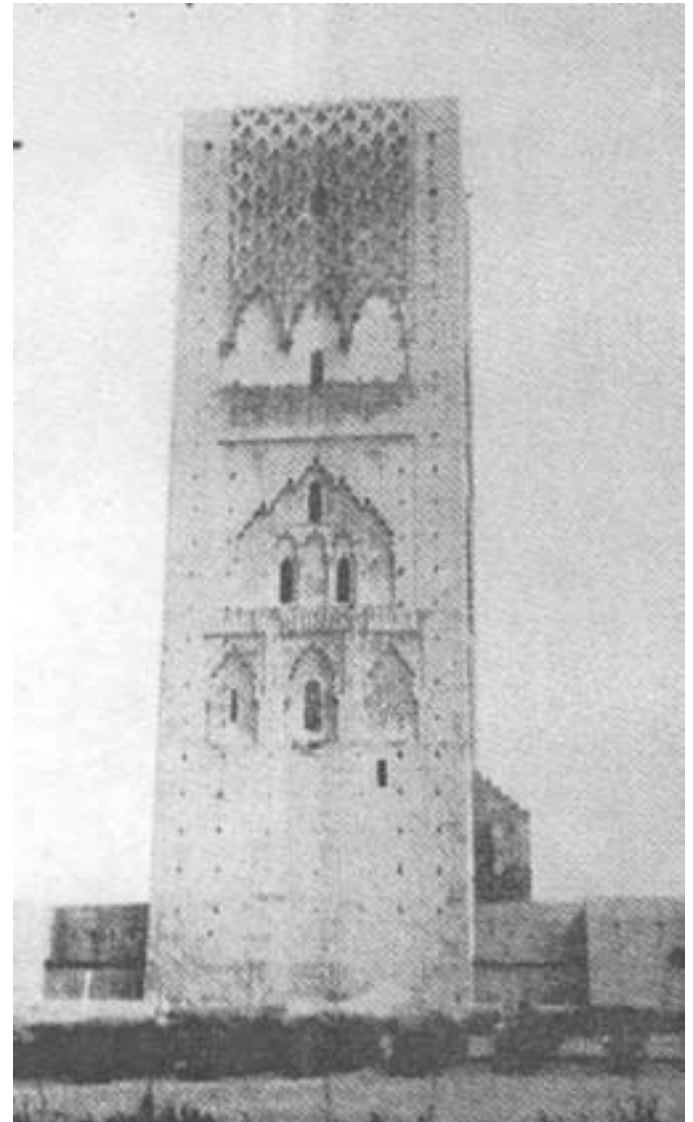
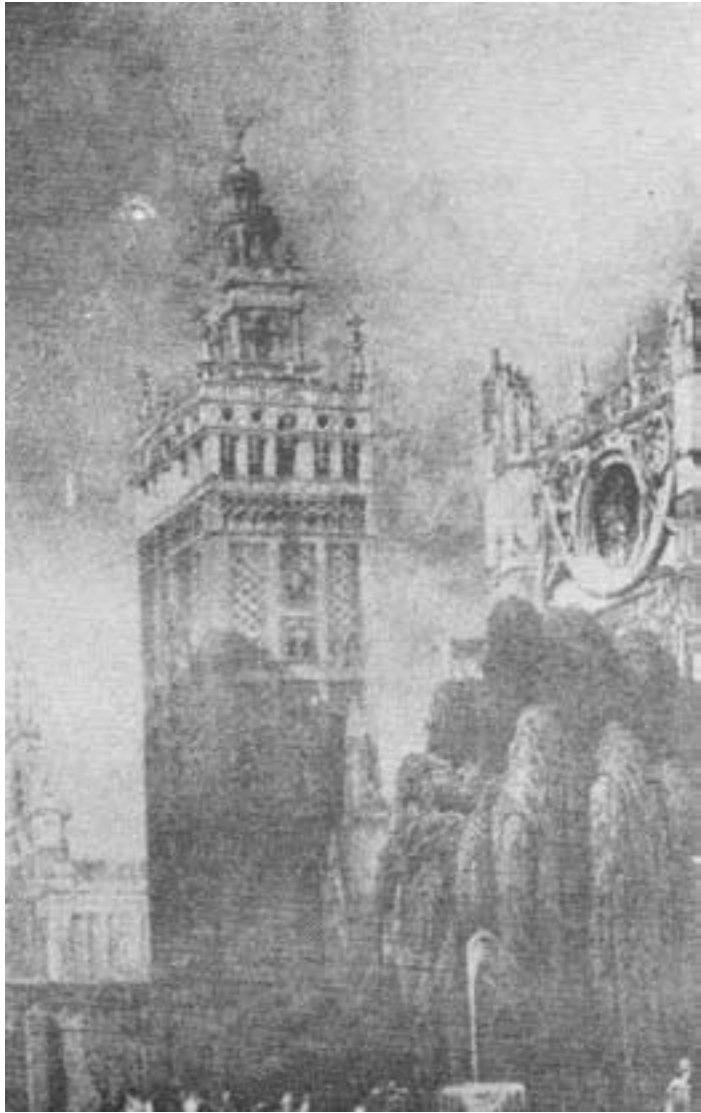
|   |                          |  |
|---|--------------------------|--|
| عاصمتها. قواعدها. مجال نفوذها عهد كل دولة أسماء الدول أسسوا مراكش. حكموا المغرب الأقصى وغربي المغرب الأوسط والاندلس وموريتانيا الحالية. | 1043 / 434<br>1147 / 541 | المرابطون<br>(صنهاجيون)                    |
| انطلقوا من غرناطة بالاندلس. وحكموا ميورقة وطرابلس الغرب وبلاد الجريد بإفريقيا.  | 1146 / 541<br>1237 / 633 | بنو غانية<br>(صنهاجيون)                    |
| عاصمتهم : مراكش. حكموا المغرب الكبير كله. الى طرابلس. والاندلس. أسسوا مدينة الرباط.   | 1147 / 541<br>1269 / 668 | الموحدون<br>(مصامدة<br>وزناتيون)           |
| عاصمتهم : تونس. حكموا إفريقيا كلها. ووسعوا مجال نفوذهم من جهة الغرب الى تخوم المغرب الأقصى.   | 1234 / 631<br>1569 / 976 | الحفصيون<br>(فرع من<br>الموحدين)           |
| عاصمتهم : تلمسان. نازعهم الملك المرينيون من جهة الغرب. ونازعهم إياه الحفصيون من جهة الشرق.  | 1235 / 633<br>1509 / 915 | بنو عبد الواد أو<br>بنو زيان<br>(زناتيون)  |
| عاصمتهم : فاس. حكموا المغرب الأقصى. وحكموا لمدة ما الاندلس والمغرب الأوسط وإفريقيا.   | 1269 / 668<br>1465 / 869 | بنو مرين<br>(زناتيون)                      |
| عاصمتهم : فاس. حكموا المغرب الأقصى. تقلص مجال نفوذهم بالتدريج.  | 1465 / 869<br>1549 / 956 | بنو وطاس<br>(زناتيون من<br>قبيلة بني مرين) |

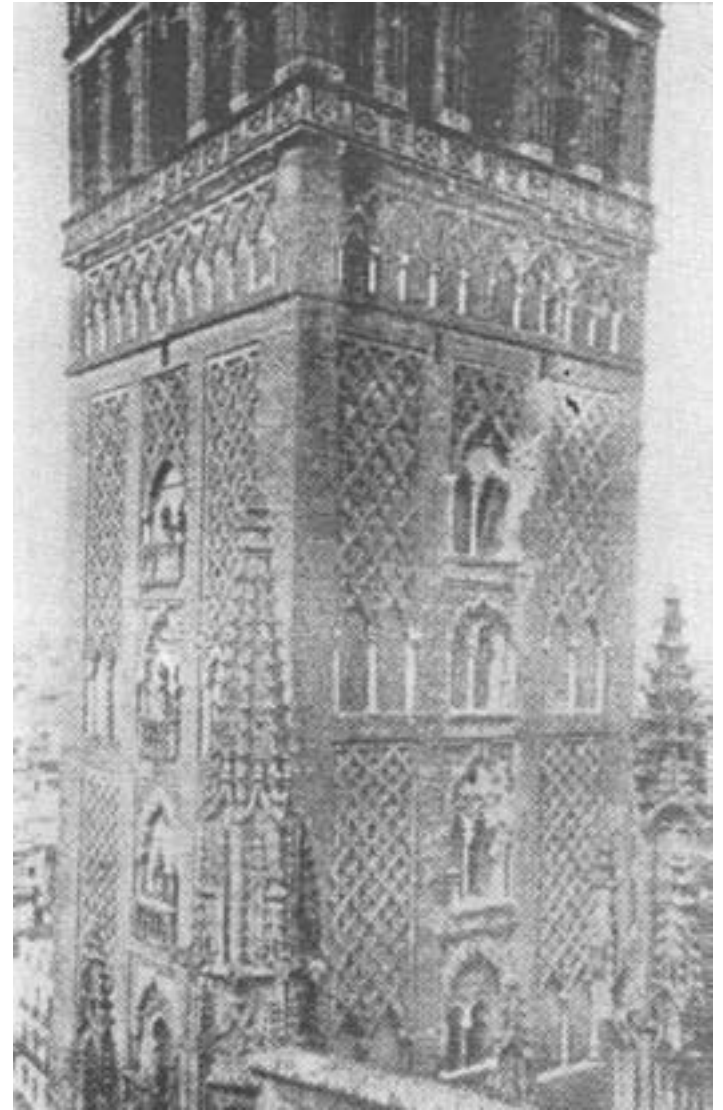
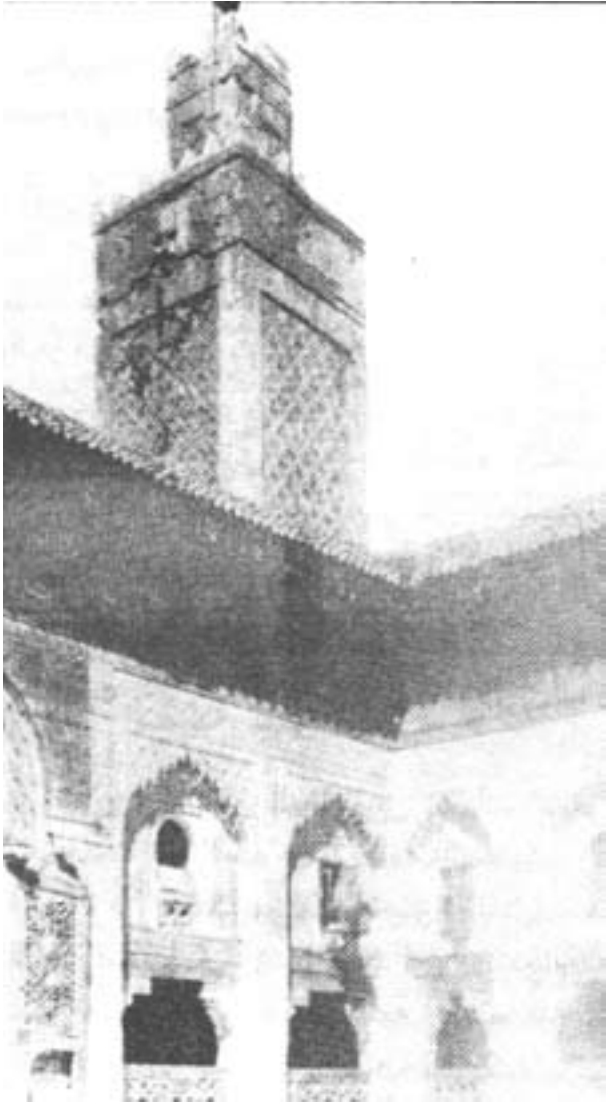
| أسماء الدول                                   | عهد كل دولة   | عاصمتها. قواعدها. مجال نفوذها   |
|---|---|---|
| ملكة كسيلة                                    | 64/684 - 69/689   | القيروان. إفريقيا   |
| الخوارج المغاربة بعد معركتي شلف وسبو (بكدورة) | 123/741 اندثروا شينا فشينا في جل المناطق. بصفتهم خوارج. | المغرب الأقصى : أسس مكناسة مدينة سجلماسة 728/140-729. المغرب الأوسط : صنهاجة في مدينة باجة. المغرب الأدنى : هواره في طرابلس. وبربر جبل نفوسة في قابس. |
| برغواطة (من المصامدة)                         | 127/745<br>451/1058                                     | بلاد تامسنا. اي السهول الاطلنطية الممتدة من سلا الى أسفي.   |
| بنو عصام                                      | القرن الثالث والقرن الرابع الهجريان.                    | مدينة سبته  |
| مكناسة (زناتيون)                              | القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي               | أسسوا مدينتي تازا ومكناس. وحكموا فاس وتلمسان  |
| بنو مدرار (زناتيون)                           | القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي               | سجلماسة. والواحات المجاورة.   |
| بنو يفرن (زناتيون)                            | القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي               | عاصمتهم : إفكان، حكموا فاس وتلمسان وسلا وتادلا  |
| مغراوة (زناتيون)                              | القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي               | أسسوا وجة. وحكموا فاس وتلمسان وسجلماسة.   |
| بنو زيري (صنهاجة)                             | 362 / 972<br>547 / 1152                                 | تونس وشرقي الجزائر : القيروان. المهديّة   |
| بنو حماد (صنهاجة)                             | 398 / 1007<br>547 / 1152                                | المغرب الأوسط : قلعة بني حماد. بجاية.   |
| بنو زيري (صنهاجة)                             | 408 / 1018<br>483 / 1090                                | غرناطة. بالاندلس  |
| بنو الأفتس (زناتيون)                          | 413 / 1022<br>487 / 1095                                | بطليوس. بالاندلس.   |
| بنو ذي النون (هواريون)                        | 419 / 1028<br>478 / 1085                                | طليطلة. حكموا ما بين وادي الحجرة وطلبيبة شمالا. ومورسيا جنوبا. اسمهم الحقيقي : بنو أزيون  |



## الثقافة الأمازيغية وثقافات الأمازيغيين.

كثيرا ما كتب وقيل إن «البربر» لم ينشئوا قط ثقافة ذاتية يختصون بها، يعتبر هذا الحكم صائبا من له تصور تقليدي لفهوم الثقافة، بحيث يجعله ينحصر في حيز المآثر الأدبية المكتوبة، ويعتبره غير صائب من له تصور شمولي أنثروبولوجي عصري لفهوم الثقافة، بحيث يرى أن التقاليد الاجتماعية والاختيارات والنزعات السياسية، والفنون بمختلف أنواعها، كالعمارة والرقص والغناء، والأدب الشفوي المروي جيلا عن جيل، من شعر وقصص وأمثال سائرة، يرى أن ذلك كله ثقافة، بالإضافة إلى اللغة نفسها، بطبيعة الحال، وما تنفرد به من مميزات معجمية وصرفية ونحوية واشتقاقية، والواقع أن للأمازيغيين ثقافة خاصة بهم توارثوها عبر العصور منذ آلاف السنين، يصعب على الباحث أن يتتبع مراحل تطورها فيما يخص الجوانب المعتمدة للكتابة، لكنه يستطيع أن يشخص بسهولة كل الجوانب الأخرى، ولا بد في هذا الصدد من التنبيه إلى أن الثقافة الأمازيغية لم تنحصر، منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام، في ما هو خاص بهم متوارث عندهم.





### 1 - الثقافة الأمازيغية الأصلية المتوارثة :

#### أ - اللغة "البربرية":

من المعلوم أن عقليات الشعوب لا تتطور إلا تطورا بطيئا جدا. لا تغير منها الانقلابات والصدمات إلا ما هو على السطح. ومن المعلوم أن اللغات هي التي تصوغ العقلية ما دامت تعمل في حقلها الأصلي لم تنقل عنه ( Pour une sociologie du langage ). وكل من يعترف بصحة هذه الأطروحة التاريخية الاجتماعية يدرك أن اللغة الأمازيغية من أهم العوامل الحضارية والثقافية التي كلفت الروح المغربية والبيئة الطبيعية التي نشأت فيها، وقولبت الفكر المغربي في كثير من جوانبه. طوال آلاف السنين، وبالتالي شكلت البنية التحتية للشخصية المغربية الاسلامية، أو لما سُمي بالانسية المغربية على غرار الانسية الأوربية، وما يمكن لدارس اللغة الأمازيغية في العمق أن يستنتجه، أنها تستمد عبقريتها من تفاعلها مع طينة أفريقية الشمالية وجاوبها معها، حتى إن جوانب معينة من البحث العلمي المتخصص تستوجب على الباحث إلماما بالأمازيغية، تستوجه على المؤرخ والسوسولوجي والجغرافي والنباتي والجيولوجي، واللغوي المقارن .

واللغة «البربرية» لغة قائمة بذاتها، ليست «لهجة متفرعة عن لغة أخرى، ولها هي لهجاتها المتفرعة عنها» (Boukous, Bulletin, 10..16) المنتشرة في المغرب والجزائر وليبيا وجنوبي تونس وموريتانيا ومالي والنيجر (Langue

بل كانت دائما» ثقافة مفتوحة «غير منغلقة على نفسها. ولكن بالضرورة لا محض الاختيار، ولذا ساهم «البربر» مساهمة مهمة في تشييد أركان الحضارات والثقافات الكبرى التي تعاقبت على شواطئ البحر المتوسط ابتداء من أواسط الألف الأول قبل الميلاد. أما سبب تقوقع ثقافتهم الذاتية فمزيج، أو هو في الواقع سببان، أولهما هو نمط عيشهم المطبوع بالبداءة، وسنشرح فيما بعد عوامل بداوتهم. وثانيهما أن لغتهم لم ينزل بها كتاب، فلم يخدمها دافع ديني قط، كما خدمت الدوافع الدينية العبرية والعربية، وبدرجة أدنى اليونانية واللاتينية، وقد تظن لهذه الظاهرة حاميم الغماري المتنبئ إذ حاول، في أوائل القرن الرابع الهجري، أن يعارض القرآن في لغة أجداده، كما فعل من قبله صالح بن طريف البرغواطي المصمودي، في أوائل القرن الثاني الهجري.

لثقافة الأمازيغيين إذن شقان، أحدهما خاص بهم، هو رصيدهم الأول المتوارث؛ بعض عناصره شبه مجمدة لاتزال محافظة على أشكالها التي نشأت عليها أول نشأة في غابر الأزمان، كالعمار والزخرف في الزربية والخزف والوشم وواجهات المباني؛ وبعضها يحتل في وجوده أنه تطور عبر العصور لكنه احتفظ مع ذلك بطابعه الأمازيغي المتميز، كاللغة والأدب الشفوي والرقص والغناء والتقاليد الاجتماعية والسياسية، وشق ثقافتهم الثاني هو ما أخذوا عن الثقافات الأخرى: عن الفينيقية واليونانية واللاتينية والعربية الاسلامية (والفرنسية والاسبانية)، وما أسهموا به في بلورة تلك الثقافات نفسها .

الشفوية وحدها (Les Origines). (Science et vie, 52 à 63). (berbères, p 113).

والواقع أن اللغة الأمازيغية لا تزال حية، محافظة على كيانها الذاتي الذي لا يتجلى بوضوح تام وبكل عناصره إلا لمن كلف نفسه قليلا من الاهتمام باللهاجات وما بينها من التداخل والتكامل. متجها وجهة التماس العوامل الموحدة. لا وجهة التماس العوامل المفرقة بينها كما كان يفعل عدد من «الباحثين» الفرنسيين. واللغة الأمازيغية في وضعها الحالي. أي بصفتها لغة حية يتخاطب بها الناس. في تلقائية وعفوية. قابلة للانتعاش والنمو والازدهار. لاسيما أن لها نظاما اشتقاقيا جدمرنا يتفاعل فيه الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر مع النحت والتركيب المزجي تفاعلا يضاعف إمكانات الخلق المعجمي اليسير المنال. وبدراسة هذا النظام في تفاصيله سيتمكن الخبراء من فك أغاز النقوش القديمة التي استغلق أمرها عليهم حتى الآن. ومن تسليط بعض الأضواء على خفايا تاريخ أفريقية الشمالية .

هذه اللغة لها شعراؤها الذين يتغنون بها (إماريين. واحدهم أمارين. وإمديازن. واحدهم أمدياز). ولها قصاصها الذين يقصون على الأطفال أقاصيصهم. ما لم تدخل التلفزة البيوتات لتستحوذ على أذهان الأطفال بما تحمله إليهم من صور ومن معلومات في لغات أخرى يعسر عليهم فهمها ولها أمثالها التي يتمثل بها. ولها فصاحتها الخاصة بها. ولها ضعفها الذي لم يفارقها حتى اليوم رغم المحاولات. ألا وهو اعتمادها الشفوية

(. et littérature..108,110, Encyclop. Berbère, IV, 563). وهي لهجات تلتقي في أصل واحد بصورة واضحة. لا في معطياتها النظرية فحسب. ولكن حتى في معطياتها المتصلة بالممارسة والاستعمال. لقد كتب الباحث «المتزغ» « أنصري باصي André Basset «في الموضوع ما يلي:» ينتقل (الباحث) من لهجة إلى لهجة دون أن يحس بأنه ينتقل». كتب هذا سنة 1929 (La langue berbère, p. IX). ثم أضاف بعد عشرين عاما من مواصلة البحث. قائلا:» إن بنية اللغة الأمازيغية وعناصرها وأشكالها الصرفية تنسم بالوحدة إلى درجة أنه إن كنت تعرف حق المعرفة لهجة واحدة منها استطعت في ظرف أسابيع أن تتعلم أية لهجة أخرى. تدلك على ذلك التجربة. إذ اللغة هي اللغة نفسها. ولقد عجت لذلك...» (Revue le Monde non chrétien, n° 11 juillet-sept, 1949, p 10 et 11).

وتتجلى وحدة اللغة الأمازيغية في الزمن أيضا. لأن بطء التطور الحضاري ساعد على استقرار المعطيات اللغوية بها العناية الكافية. ستساعد مؤرخي العصر القديم خاصة في تعميق أبحاثهم. أما انتمائها من وجهة نظر» اللسانيين «فقد بينه» مارسيل كوهن. Marcel Cohen «في أطروحته وفيما تبعها من مؤلفاته انطلاقا من سنة 1924. إذ برهن على أنها فرع من المجموعة الحامية السامية. وقد صارت منذ أواخر القرن التاسع عشر محط اهتمام لدى اللغويين المعينين بتطور اللغات وبنواميس ذلك التطور. نظرا لحيويتها رغم اعتمادها على



### ب - الكتابة الأمازيغية القديمة:

حسب ما أثبتته البحث إلى حد الآن، لم ينشأ على أرض القارة الأفريقية كلها إلا أبجديتان اثنتان - بصرف النظر عن الهيروغليفيات - هما الأبجدية الأمازيغية والأبجدية الأثيوبية (Berbères, Camps, 275). وقد أثبت البحث أن ظهور الحروف الأمازيغية الأولى يرجع عهده إلى فجر التاريخ، وأن مجال انتشارها يمتد من شمالي السودان إلى الجزر الخالدات غربا وصقلية والأندلس شمالا (Histoire du développement...II, 26; Berbères, Camps, 277). وقد أولت هذه التسمية تأويلات مختلفة، أسرعها إلى الذهن هو أن الكلمة مشتقة من «فينيق، فينيقيا» وما إلى ذلك، قد يطابق ذلك أصل هذه التسمية، وربما لا علاقة له به، ولكن المحقق هو أن الكتابة الأمازيغية غير منقولة عنها، بل رجح الاعتقاد بأنها والفينيقية تنتميان إلى نماذج جد قديمة لها علاقة بالحروف التي اكتشفت في جنوبي الجزيرة العربية. وقد أشرنا إلى هذه العلاقة فيما سلف، لقد كانت الأبجدية الأمازيغية في المراحل الأولى من وجودها تتكون من «حروف صامتة، Consonnes» هي المعنية بـ «تيفيناغ». ويعتقد أن عدد تلك الحروف الصامتة كان 16 حرفا (Les Origines berbères, p 61). وأنه صار 23 حرفا في عهد المملكة المازيلية النوميديية (Berbères, Camps, 277). وقد أضيفت إلى الحروف الصامتة في زمن متأخر حروف صائتة «Voyelles سميت» تيدباكين». تقابل الفتحة والكسرة والضممة، وتسمى الأبجدية في مجموعها «أكامك» كان

دون الكتابة، فلم يُقدَّر التدوين من جراء ذلك إلا لعدد ضئيل من مآثرها الأدبية. أما الباقي فإنه ضاع في طبقات النسيان، بعد أن رده إثر نشأته جيل أو جيلان أو ثلاثة أجيال في أحسن الحالات، وما دُونُ نذكر على سبيل المثال شعر سيدي حمو السوسي المتعدد الأغراض، الذي يرجع عهده إلى القرن الثاني عشر الهجري (عمر أمير) والشعر الديني التعليمي لمحمد أوزال من القرن الثالث عشره وشعر السني موحند القبائلي من القرن التاسع عشر الميلادي (Les Isfra de si Mohand) وهو شعر ذو نفس فاسفي، وشعر تاوكرات (Taougrat) الملحمي من أوائل القرن العشرين، وعدد من القصائد المتفرقة لشعراء مختلفين من القرن العشرين أيضا، ومن كبار الشعراء الذين لهم صيت في الجهة التي ينتمون إليها نذكر سليمان عازم، وسليمان الشابي وفاطمة عمروش آيت منصور، وموحند ومحاند والحاج رابح القبائليين، وعبد الرحمان ومسعود المتوكي، وقد أصبح الشباب الأمازيغيون يهتمون بتدوين الأدب الأمازيغي الجديد وبالتنقيب عن القديم منه، بحض وسائلهم، ويؤلفون تأليفا إنشائيا يعد بالنمو، نذكر من مؤلفاتهم «وَسَان صميدنين، الأيام الباردة» لمومن علي الصافي، و«نسكراف، القيود» لمحمد مستاوي، من هؤلاء الشباب من يكتب بالحروف العربية، ومنهم من يكتب بالحروف اللاتينية، خاصة في الجزائر، لأن اللغة الأمازيغية تخلت عن أبجديتها الذاتية منذ دخول «البربر» في الإسلام، حسب ما تدل عليه القرائن، ولم يحتفظ بها إلا قبائل التوارك غير أن حروفا منها لا تزال تُدرج في زخارف الزربية المغربية .

## تاريخ الأمازيغيين

العينين - نصوص كاملة بحروف» تيفيناغ «نقشت في عهد ما على صفحات صخور كبيرة. وهناك في المغرب أيضا صفائح أخرى معروفة: «صفحة أجزا» المعروضة في متحف تيطاون. و«صفحة» عين الجمعة «وصفحة» سيدي سليمان «(متحف الرباط)... وعلى سبيل المثال نورد هنا أحد السطور الثلاثة من النص المنقوش على «صفحة تيفلت» (متحف ويلي):

هذه النقوش الأمازيغية القديمة كانت أكثر انتشارا في البوادي والأرياف منها في المدن. (Camps) أنبغى أن يعتبر ذلك سببا لتراجع الكتابة «البربرية» أمام البونية فاللاتينية فالعربية؟ أم ينبغى أن يعتبر نتيجة لتوازي التمدن مع استخدام الحرف البوني. ثم اللاتيني. ثم العربي؟ وما هو ملحوظ منذ عقدين على وجه التقريب هو أن جماعات من المثقفين يحاولون أن يحيوا الحرف الأمازيغي القديم. وقد توصلوا إلى صنع آلات للرقانة به. لم يسمح ببيعها في الأسواق.

### ج - الفنون الأمازيغية التعبيرية:

مع أن اللغة الأمازيغية جردها الزمان من كتابتها. ومع أن الناطقين بها لم يعنوا كثيرا بتدوين إنتاجاتها الأدبية. ومع أنها لم تكن قط لغة تلقين أو تعليم. ولم تكن موضوع بحث وتحليل إلا ابتداء من القرن الماضي. فقد ظلت حية في أفريقية الشمالية كلها والصحراء الكبرى إلى يومنا هذا. إما في مناطق شناسعة يتخاطب بها في كل مكان. وإما في «جزر لغوية شاهدة». أي في أماكن محدودة المساحة تكون عبارة عن مواطن لقبائل صغيرة.

الأمازيغيون القدماء يكتبون بهذه الحروف على جدران الكهوف وعلى الصخور. من الأعلى إلى الأسفل. في أول عهدهم بالكتابة. ثم كتبوا في جميع الاتجاهات. ودام ذلك الوضع إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. حيث أخذ التوارك يستقرون على الكتب من اليمين إلى اليسار تقليدا لما هو معمول به في العربية.

وقد ترك لنا القدماء على الصخور والصفائح الحجرية. ما يربو على ألف نقش (Marcy, Chabot, Reygasse) وتركو عددا من النقوش التذكارية في تونس والجزائر خاصة. فيها ما هو مصحوب بترجمته اللاتينية أو الفينيقية. وقد قام الباحث «جورج مارسى. Georges Marcy» بمحاولة جادة من أجل شرحها. لكن معظم النقوش الأمازيغية القديمة لا تزال تنتظر اختصاصيين يشترط فيهم أن يتقنوا الأمازيغية أولا. ثم إحدى اللغات الميتة الآتية: الفينيقية أو اليونانية أو اللاتينية. يوجد في المغرب نماذج من النقوش على الصخر في «عزيب نيكيس» و«ياكور» بالأطلس الكبير. ونقش «صفحة أزرو» ونقش «صفحة تيفلت» (Chabot) «. وهنا يجب التساؤل: هل سميت مدينة» تيفلت «بهذا الاسم على طريق المصادفة ليس غير؟ لأن «تيفلت» في الأمازيغية هي «الصفحة» الحجرية بالذات. حسب ما احتفظت به اللهجة التركيبية من معاني الألفاظ الأصلية. نقش بالحروف الأمازيغية متوغل في القدم. يوجد بالمكان المسمى «عزيب نيكيس» في الأطلس الكبير الفارس الأمازيغي الرافع لقرص الشمس المشعة: وعلى يمينه نقش بحروف «تيفيناغ» ويوجد في الصحراء المغربية في نواحي سمارا حسب شاهد عيان - هو الدكتور حمداتي ماء

المغرب، و«الجرجورة» في الجزائر .

ومن تقاليد الأمازيغيين العريقة الرقص الجماعي المصحوب بالغناء، وهو الذي قال فيه أحد الخبراء الغربيين «إنه من إحياء تموجات السنابل... أو الكثبان في الصحراء، أو أعراف الجبال في الأفاق» (Tableau de la musique... نقلا عن Paul Hector) والرقص الأمازيغي أنواع كثيرة، أهمها «أحيدوس» و«أحواش». أما رقصات «الشيخات» فليست من التراث الأمازيغي في شيء، وإنما هي «بدعة» أقحمت فيه على يد «قياد» الاستعمار، استوردوها من الحلات المشبوهة التي تكاثرت في المدن المغربية طيلة عهد «الحماية»، وليس من المبالغة أن يقال إن الرقص الأمازيغي التقليدي هو الرقص الكلاسيكي المغربي، وليس للمغرب رقص غيره له ميزة تستحق الاعتبار يُرثشح بها لأن يمثل الشخصية المغربية. لكن هذا الرقص صنّفه الفرنسيون «فولكلورا» (folklore)، فتبعهم في ذلك المسؤولون الوطنيون عن الفن، فلم يُقيّض له من ينهض به، ولذا صار يفقد رونقه الأصلي ويفقد تلقائيته النابعة من روح الابتكار الجماعية العاملة بدوافعها الذاتية.

### د - المعمار والزخرف الأمازيغيان :

الأثار المعمارية الأمازيغية ضاربة في القدم، يرجع عهد عناصرها الأولى إلى ما قبل التاريخ، تلك العناصر الأولى عبارة عن أضرحة بسيطة، بني كل واحد منها على شكل ركام من الحجارة يسمى الآن عند التوارك «أدبني ح إدبنيين». وقد تطورت

أو عن مجموعة قرى متجاورة، أو قرية منفردة، أو واحة من الواحات، أو حتى عن بيت واحد أو متجر يوجد وسط بيوتات أو متاجر في قلب مدينة كبيرة مستعربة، تتجلى حيوية اللغة الأمازيغية في التلقائية التي يتكلمها الناس بها، وفي الأغاني والقصائد التي يروجها شعراؤها، وقد تعصب أحد أولئك الشعراء لـ «لغة أمه» إلى درجة أنه زعم بأن الغزل يستحيل بسواها.

إذ قال :

في لُغَة أُمِّي

بُحْتُ إِلَيْكَ، حَبِيبَتِي، بِسِرِّي !

كيف يَفْعَل، يا تُرَى مَنْ يَجْهَلُ لُغَةَ الْأَمَازِغِ ؟

أَبْكَلَمَةَ حُبِّ، أَبْدَا، لَا يَنْطِقُ ؟

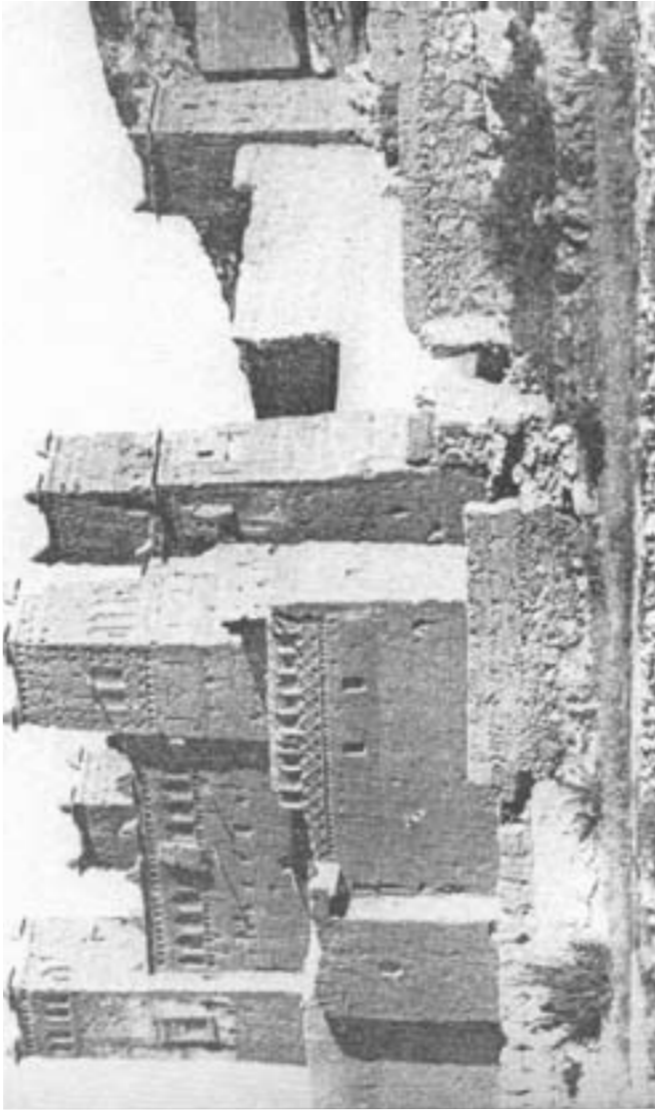
وهو قول يذكرنا بقول أحد شيوخ الأدب العربي القدماء «إن الهجو باللغة العربية لأحبّ إلي من المدح بالفارسية!».

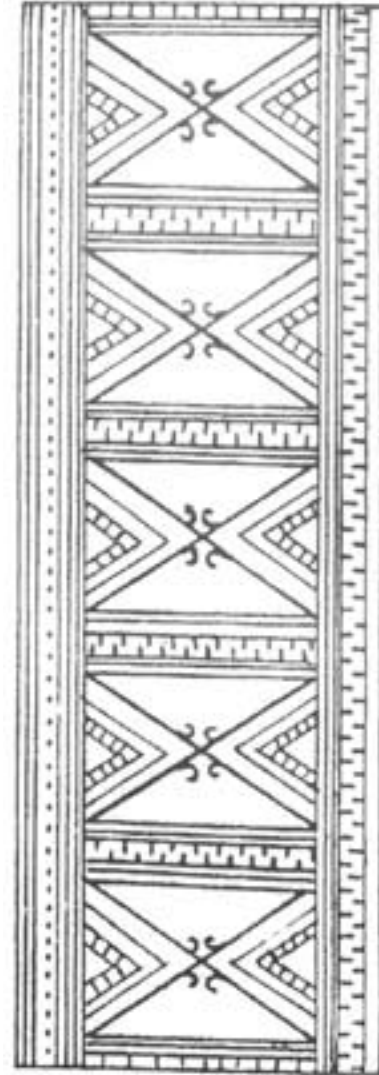
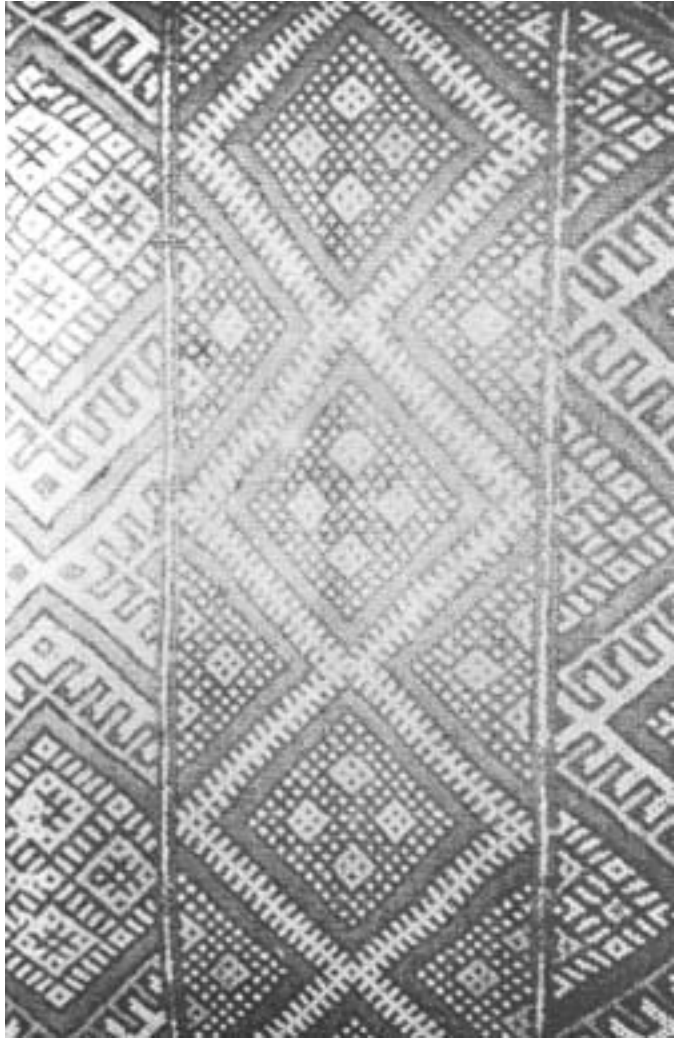
أغراض الشعر الأمازيغي متنوعة، وكذلك أصنافه وموازينه (انظر: Renisio, Laoust, Maâmmri, De Foucauld, وعمر أمير، ومحمد شفيق) وقد ظهرت في الثلاثين سنة الأخيرة حركة تجديد لقوالب العشر في مناطق مختلفة، لاسيما في الشعر المتغنى به، أخذ مغنون شباب يقلدون أنماط الموسيقى العصرية، أمثال العموري في المغرب، وإيدير، وجمال علاّم، في الجزائر، وقد انتشر صيت المجموعات الغنائية الآتية: «أوسمان = البروق، جمع برق» و«إزنزرن = الأشعة» و«أدراو = المأدبة» في



فيما بعد تصاميم تلك الأضرحة إلى أن صارت أشكالها إما هرمية مربعة القواعد، وإما مستديرة القاعدة مدرجة من الأسفل إلى الأعلى في طبقات. هذه الأضرحة الأخيرة تسمى «بازينا» وهي مبنية من الحجارة المتراسة، وأصل اسمها حسب ما نرجح راجع إلى كون بُنيانها غير معقود بملاط. لأن مادة «بن» في اللغة الأمازيغية تفيد انعدام الإدام مع الخبز أو انعدام الملاط مع حجارة المبنى؛ فالخبز الحاف يسمى «أبازين». وكذلك الحائط المبنى من الحجارة المنصّدة دون تمليط (Berbères, Camps, 84,85).

وفي مراحل تاريخية أخرى صارت الأضرحة عبارة عن مبان شاهقة في شكل منارات مكونة من أربع طبقات أو خمس. عليها أصغر حجما من سفلاها، أو عبارة عن مبان مخروطية الشكل أسطوانية القاعدة يبلغ ارتفاعها ثلاثين مترا فأزيد. ويبلغ قطر دائرتها حوالي ستين مترا؛ وهي مبنية من الحجارة المنحوتة أيضا. هذه الأضرحة، بنوعها منسوبة إلى الملوك الأمازيغيين القدماء، يوجد من نوعها الأول اثنان في تونس الحالية، أحدهما بمدينة دوكة (ثوكا القديمة)، والآخر بشمتمو (سيميثو القديمة). وواحد بالجزائر في المكان المسمى «الخروب». ويوجد من نوعها الثاني اثنان بالجزائر في كل من «قبر النصرانية» و«ميدراسن». وبقايا مجموعات منها بالمغرب في سهل سايس، قرب عين تاوجضات، وفي سهل الغرب قرب مدينة سيدي سليمان (تل سيدي سليمان، L'Afrique du Nord, 70) ولهذا النوع الأخير من الأضرحة الأمازيغية القديمة خصوصيات معمارية تجعله منفردا في تاريخ المباني الأثرية. ومن الأنماط المعمارية الأمازيغية

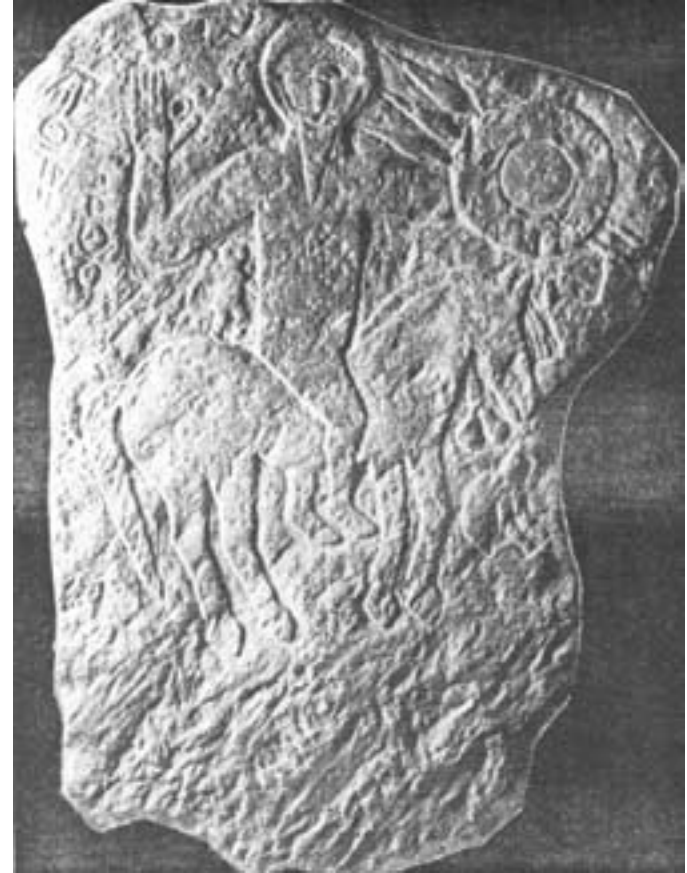




## تاريخ الأمازيغيين.

التي نفذت إلى عصرنا من أعماق التاريخ تلك التي تبنى على غرارها «القصور الجماعية» («إغرمان» التي مفردها «إغرم») و«القصبات» («تيفرمين» التي مفردها «تيفرمت») المنتشرة في الأطلس الكبير، ومخازن الحبوب العمومية («إكودار» التي مفردها «أكادير، Greniers Citadelles»). وقد نفذت إلينا معها أنواع من الزخرف، كلها عبارة عن تشكيلات هندسية أساسها الخط المستقيم، تزين بها واجهات المباني السالفة الذكر، في الأطلس الكبير والواحات، وتزين بها الزرابي والحلي الفضية والأنيب الطينية والخزفية. هذا، ثم إن المعمار المغربي الإسلامي مطبوع هو أيضا بروح الفن الأمازيغي الميالة إلى البساطة وتوخي المتانة، يتجلى ذلك أحسن ما يتجلى في أشكال المنارات المربعة القاعدة، عامة، وفي منارات الموحدين الثلاث خاصة: منارة الكتبية بمراكش، ومنارة حسان بالرباط، ومنارة «الخيرالدا» بإشبيلية. منارة «الخيرالدة» بإشبيلية، وهي من منشآت الدولة الموحدية.

وإذا أضفنا إلى المعمار والزخرف قائمة بالرسوم التمثيلية الكثيرة التي رسمت بالنقوش أو الألوان على الصخور في الكهوف والجبال والصحاري منذ العهد الحجري الجديد، تكتمل لدينا صورة الفن الأمازيغي القديم، وما اتسم به وجوده من استمرارية نادرة، نخص بالذكر من الرسوم المنقوشة: العربة ذات الأفراس الأربعة (وادي أزكزا، بتاركا، وتاركا هي الفران)، وصياد الأروبي (تينزولين، جنوبي المغرب)، والفارس حامل الشمس المشعة (أبيزار، بجبال القبائل بالجزائر)، والفارس المحارب (في



## تاريخ الأمازيغيين

الباحثون الأول غفلوا عن هذه الحقيقة فلأن الأثر البوني المدون مكتوب بالحروف الفينيقية، وبالحروف الفينيقية مجردة من كل حركة صائتة (Voyelles) ، ولأنهم كانوا يغفلون عن توظيف معطيات اللغة « البربرية » في تشخيص الألفاظ والأسماء (Les Inscriptions libyques, 5...16). ولهذا أصبحت الآن أسماء، كان يعتقد أنها قرئت على أوجهها الصحيحة، مثار شك وتساؤل. أكثرها شهرة اسم الإلهة « تانيت»، «أهو كذلك» تانيت «أم هو» تينيت «أم» تينيت «(La Carthage 175, Berbères, 115)». وما اسم هذه الإلهة، بصيغته « البربرية»، في قراءته أو قراءته، إلا دليل على أن قرطاجة كانت تدين بدين الأمازيغيين القدماء، بما أنها بوات « تانيت «مكانة الصدارة في معابدها وجعلتها هي» ربة المدينة» (La Carthage punique, 175). وقد ورد في نصوص قديمة ما يستفاد منه أن الكهنة وسدنة المعابد في قرطاجة كانوا أمازيغيين (Silius Italicus, 8) في معظمهم. ولدينا في أفريقية الشمالية نموذج تاريخي آخر من نماذج المصاهرة الحضارية الموفقة، ألا وهو نموذج انصهار العرب و« البربر» معا في بوتقة العقيدة الإسلامية .

### ب - إسهام ملك أمازيغي قديم في إغناء الثقافة

#### اليونانية :

لم يكن الأمازيغيون يجاورون اليونان مباشرة، ولم يكونوا دائمي الاتصال بهم. لكن ثقافة اليونان فرضت نفسها على حوض المتوسط كله، ابتداء من القرن الخامس ق.م. بفضل سمو الفكر الاغريقي آن ذاك. فلا غرابة إذن أن يكون الملك المازيلي

منطقة أبير التركية، بمالي)، ومن الرسوم التي صورت بالألوان: الفرسيين المتجاهين (إقليم بشار بالجزائر) والنساء المتبرجات، والصيد حامل الرمح، والرقصات البهلوانية حول ثور ( بتاسيلي ناجر، صخرة الثور، في جبال التوارك بالصحراء الجزائرية).

### 2 - ثقافات الأمازيغيين، أو مفعول «الثقافة».

#### أ- البونية ثقافة فينيقية أمازيغية:

لأمر ما كان الرومان يفرقون في التسمية بين الفينيقيين الأصلاء (Phoenicius) والبونيين (Punicus) والافارقة ( Afri). واحدهم Afer. راجع تعليق Desanges على Plinius (ص 226). إن السبب في نظر المختصين هو أن الجاليات الفينيقية التي استوطنت المواقع الساحلية على ضفة البحر المتوسط من برقة إلى طنجة وعلى جزء من شاطئ المحيط الأطلسي، وحولتها إلى مراكز تجارية، اختلطت شيئا فشيئا بالأهالي الأمازيغيين - بحكم التعامل السلمى الموصول على مدى قرون، والمتجرد عن كل تعصب ديني - إلى درجة أنها أصبحت تتميز في مقومات حياتها المادية والمعنوية، عن فينيقي فينقيا وعن الأهالي الأفارقة، أي « البربر» الذين بقوا على طبيعتهم الأولى. البونيون إذن جيل من الناس امتزجت فيهم الشخصية الأمازيغية بالشخصية الفينيقية امتزاجا بطيئا هادئا، بما حملة كل واحدة منهما من مميزات، فكان لذلك انعكاسات على ثقافة قرطاجة وغيرها من المدن الساحلية والقريبة من الساحل، وتكونت لغة « عامية » بين الفينيقية والأمازيغية (L'Afrique du Nord, 59...63). فإن كان





ماسينيذا «يستقدم إلى عاصمته» فيرطا «العلماء والفنانين من أثينا، ولا غرابة أن ينبغ في شتى فروع العلم والمعرفة حفيده، ريبب روما، يوبا الثاني، وأن يصنّف باليونانية، في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب وفقه اللغة المقارن. فتعجّب من نبوغه «فلوتارخوس Plutarkhos». «ومن كون» بريري نوميدي (يصبح) أكثر الأدياء ظرفا ورهافة حس (Les Africains, IX, 146). ونصب له الاثينيون تمثالا في أحد مراكزهم الثقافية (Gsell + Les Berbers, I, 49, 50) تقديرًا لكفاءته الفكرية، وقد نقل عنه علماء العصر القديم، وحسده معاصروه منهم ونفسوا عليه نبوغه، بصفته «بريبا barbarus»، وكان نفاستهم عليه تسربت إلى نفس المؤرخ الفرنسي Stéphane Gsell. إذ ما فتئ Gsell يحاول أن يعض من قيمة أعمال يوبا الفكرية، فتبعه في ذلك تلامذته من الأوربيين الذين أرخوا للمغرب الكبير في عهد الاستعمار الفرنسي (Les Africains, IX, 157,58,61). كما تبعوه في حمالهم على أبيه يوبا الأول من أجل حرصه على سيادة ملكته، والدافع عند Gsell ومن تبعوه هو أنهم كانوا يعتبرون الفرنسيين ورثة للرومان في أفريقية الشمالية، ويرون أن «الأهالي» Les indigènes «لا يمكن أن يكونوا إلا «أهالي» في الماضي والحاضر على السواء، بما أشربته الكلمة في لغتهم إذك من معاني الاحتقار.

ومن مؤلفات يوبا الثاني نخص بالذكر كتابه المعنون بـ «ليببكا»، لأنه عني فيه ببلاد الأمازيغيين. ومن الطريف أن يوبا أشار في ذلك الكتاب إلى قصة «الأسد الحفود» التي لاتزال

لقد كان من عواقب الحرب البونية الثانية وانهزام قرطاجنة فيها، أن حُمِلَ إلى روما صبي أمازيغي أسير، فاتخذته أحد أعضاء مجلس الشيوخ غلاما له، ثم أعتقه، فسُمي الطفل باسم سيده «Terentius»، بالإضافة إلى نسبه «أفر. Afer» أي الأفريقي. فتضلع من معارف زمنه، في اللغتين اليونانية واللاتينية، إلى أن فاضت قريحته وهو ابن العشرين، فألف سلسلة من ست مسرحيات، كان يطالع الجمهور بواحدة منها في كل سنة، ما بين 166 و160 ق.م. فصارت له شهرة كبيرة دفعة واحدة، ونال الجوائز، فحسده الحساد واتهموه بالسرقة الأدبية، فدافع عن نفسه بما كان له من قوة، فأنصفه التاريخ من بعد، ورد إليه نقاد العصور المتعاقبة اعتباره كاملا وبينوا أن تأثيره في الأدب المسرحي بقي ظاهرا إلى حدود القرن السابع عشر. ومن مؤلفاته «الاخوة. Fratres» و«معذب نفسه، Meus carnifex» و«الخصي. Eunuchus»، وهو صاحب القولة المشهورة «أنا إنسان، لا يخفى عني أي شيء ما هو إنساني!». ومن إفراطه في حب الأدب أنه مات حزنا بأرض اليونان، بعد أن ضيع في البحر مخطوطات له، وهو ابن الثلاثين (Les Grands Ecrivains du Monde, 238).

### وثانيهما «أبولاي، Apuleius, Apulée».

وُلِدَ «أبولاي، أو أفولاي» بنوميديا في أوائل القرن الثاني، حوالي 125، وتوفي حوالي 170 م. بعد أن تعلم بأثينا رجوع إلى بلده، فاتهم هناك بممارسة السحر، فدافع عن نفسه بصلافة، وألف في الموضوع كتابا عنوانه «في السحر. Magicae». وبعد ذلك

الجدات في بوادينا، إلى يومنا هذا، يقصصنها على أحفادهن باللغة «البربرية» في ليالي السمر من فصل الشتاء. إن في ذلك لدلالة على أن الأدب الشفوي قد يُحفظ خيرا مما يُحفظ المدوّن. ولقد كان يوبا الثاني ذا ذوق فني رفيع، حسب ما أجمع عليه المؤرخون لعهدده (Les Africains 161) قصة الأسد (Gsell, 263, VIII). وقد لزم ذكره ذكر طبيبه «أفوربوس. Euphorbus» الذي اكتشف ما لأحد النباتات المحلية من قدرة على تنشيط الفكر وترويح النفس، وباسم ذلك الطبيب يسمى ذلك النبات، في اللغات الأفرجية إلى اليوم: ...euphorbia, euphorbe... وهو الفربيون، أحد أنواع اليتوع أو التيوع المعروف بـ «تاناغوت» و«تاناخوت» في الأمازيغية.

### ج - أمازيغيون قدماء يتصدرون مصاف المفكرين والأدباء اللاتينيين:

نتج من مفعول «الثقافة. L'acculturation» المفروضة من قبل روما على أفريقية الشمالية أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من الأمازيغيين، فأسهموا إسهاما مهما في إغناء الفكر والأدب الرومانيين، حتى من قبل أن تكون الأمبراطورية قد بسطت نفوذها على مواطن «البربر»، بما أن أول أديب أمازيغي الأصل لاتيني اللغة عاش في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، أي قبل نزول الرومان في أفريقية.

- أديبان أمازيغيان من عهد الوثنية: أولهما «تيرنثسي أفر، أو تيرنتيوس أفر،» (185 Terentius Afer؟ - 159 ق.م).

## تاريخ الأمازيغيين.

التخلي عن روح الطبقيّة الكنسيّة. وحرص الناس على التخلص من الخدمة العسكريّة في الجيش الروماني. يعتبر كتابه «دفاعا عن الدين. Apologeticus» إحدى اللبّات الأولى الأساسيّة التي دشّن بها الأدب المسيحي المتخصص في معالجة القضايا الخلقية في ضوء العقيدة. صدر ذلك الكتاب سنة 197م (Les Grands Ecrivains du Monde, 370).

### - أرنوبي الأكبر: Arnobius

ولد هذا الكاتب بإحدى قرى نوميديا في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. فدرس علم الكلام إلى أن صار أستاذا في تلك المادة. ثم تنصرو وهو كهل. وألف كتابا واحدا بعنوان «ضدا على الوثنيين. Adversus nationes». أصدره سنة 300 ميلادية. حَامل فيه على عبادة الأصنام. وراهن على أن الإيمان بالله ضمان للفوز. كما راهن من بعده أبو العلاء المعري و«باسكال. Pascal» الفرنسي. وقد أهله عمله في سبيل عقيدته لأن يُعدّ عند المسيحيين من «آباء الكنيسة» (-Dictionnaire français-). (latin).

### - القديس أوغوستينوس Augustinus يساند روما. بصفته عمدة للكنيسة الرسميّة:

ولد «أوغوستينوس» في قرية «تاكّاست» بنوميديا سنة 354م. ومات بعنّابة سنة 430م. إذ كانت تلك المدينة محاصرة من قبَل الوندال. لم يتنصر إلا وفي عمره 33 عاما. كان من قبل أستاذا للبلّاعة. فدرّس في قريته. ثم في قرطاجة. وروما وميلانو.

تفرغ للتأليف الجاد. إلى أن أصدر كتابا. في أحد عشر جزءا. وبه وضعه تاريخ الفكر في مصاف كبار الكتاب العالميين الخالدين. في كتابه ذلك. «التقمصات Les Métamorphoses» اتخذ الرواية الطويلة النفس مطية لوصف الأوضاع الاجتماعيّة وانتقادها في سخرية حيناً. وفي شدة وصرامة أحيانا. فدافع عن المستضعفين. وطرق بكيفية غير مباشرة موضوعات فلسفيّة. مظهرًا لنزعتَه الصوفيّة. ولتشوفه إلى الديانات المشرقيّة النشأة ولولوعه بعبادة الآلهة المصريّة «إزييس. Esi, Isis». فوصف بـ «النوميدي المزعج». ولكن اعترف له بصدق التعبير وبالبراعة في فني القصص والكلام. وكان هو نفسه يصرّح بأنّه تأثر في عمق بالفكر اليوناني (Les Grands Ecrivains du Monde, 370).

### - كاتبان مسيحيان أمازيغيان في عهد المحنة:

من أبرز الكتاب الأمازيغيين القدماء الذين قاموا بالدعوة للمسيحية واتخذوها سلاحا لمقاومة الاستعمار الروماني - إذ كانت روما لاتزال وثنية - «تارتولي. Tertullianus» و«أرنوبي. Arnobius». وقد عاشا كلاهما في عهد المحنة إذ كان النصراني يُعدّبون. ولم يكن يدافع بالقلم عن النصرانية إلا «الأفارقة» (Histoire du développement...II,762,763).

### - تارتولي Tertullianus (حوالي 155 – حوالي 225 م.):

نشأ على الوثنية. ثم تنصرو وخمس خمسا كبيرا للدفاع عن دينه الجديد. ودعا إلى التمسك بتعاليم المسيح القويّة وإلى

## تاريخ الأمازيغيين

مجال لشرحها في هذه العجالة. ويمكن القول بأن ذلك الاندماج الكلي تم بصفة نهائية في أوائل العهد الموحد، لما اندثرت البقايا الأخيرة من دولة البرغواطيين. أي بعد عهد الفتوحات الإسلامية الأولى بخمسة قرون على وجه التقريب. وقد كان اندماجهم، في جملته، نتيجة لعلمهم الذاتي. يتعاون مع أفراد أو جماعات قليلة من المشاركة الذين قدموا أفريقية الشمالية مسالمين. خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين. فبعدهما حملت جنودهم راية الإسلام إلى قلب أوربا الغربية. وبعدهما تخلصوا من السيطرة السياسية الشرقية. أجهت أنظارهم إلى أنفسهم أولاً. ثم إلى غربي أفريقية السوداء. ابتداء من عهد المرابطين. فعلى أيديهم أسلمت القبائل الأولى من الزنوج في وادي السينغال. حيث لاتزال الصلوات الخمس تسمى إلى اليوم باسمائها «البربرية».

ولكن. ليس المقصود هنا هو الاحاطة بتاريخ «البربر» بعد دخولهم في الإسلام. ولا الاحاطة بإسهاماتهم في بلورة الثقافة الإسلامية. لأن ثلاثة عشر قرناً من التفاني في خدمة الدين الحنيف. فكرباً وأديباً. لا يمكن أن تقتضب في سطور أو فقرات. ولكن المقصود هو استشفاف نوعية الاسهام الأمازيغي من خلال مؤلفات مَنْ تُرجمَ لهم في غير ليس بأنهم «بربر».

ومن هذه الزاوية تكون الملاحظة الأولى التي يسجلها التحليل هي أن الأمازيغيين نشطوا حركات التصوف. فكأن نزعة التأمّلات الاستبطانية متأصلة في نفوسهم منذ القدم. كما لوحظ في مؤلفات «تارنتيوس» و«أبولاي» في عهد الوثنية الأولى. ثم في مؤلفات «أرنوبي» و«تارتولي» المسيحيين (Les

وبعد اعتناقه المسيحية رقي الدرجات الكنسيّة في ظرف تسع سنوات فقط. فأصبح أسقفا سنة 396م. وكترس حياته لتنظيم الكنيسة الأفريقية وللتأليف الديني. وقد ترك للمسيحيين مؤلفات لاتزال حتى اليوم مرجعا لهم. يعتبرونها قاعدة صلبة لفلسفة أقانيمهم الثلاثة. منها «مدينة الله La Cité de Dieu» و«اعترافات التوبة. Les Confessions» و«المراسلات. Les Lettres». كان تبشيره تبشيرا رسميا يسير في خط كنيسة روما القيصرية. ولذا عارضه «الدوناتيون» وعلى رأسهم سمّيه «أوغوستينوس» الدوناتى الذي عُرِض على القضاء في أوائل القرن الخامس الميلادي (102, Prosopographie).

لقد كان «القديس» أوغوستينوس «يتعاطف مع» الأفارقة». أي مع الأمازيغيين ويدافه عن هُويّتهم (L'Afrique du Nord, 349). ولكن في نطاق العمل التبشيري الرسمي. وما يلفت النظر أنه هو المؤلف «الأفريقي اللاتيني» الوحيد الذي صُيِّط تاريخ ولادته. كما صُيِّط تاريخ وفاته. والسبب في نظرنا هو أن أحد أبويه كان رومانيا. كما هو معلوم. وليس من المستبعد أن تكون «هُجْنَتُهُ» هي سبب موالاته للسلطة الرومانية السياسية الدينية.

## د - الانتاج الفكري الأمازيغي رافدا للثقافة الإسلامية:

لم يندمج قط الأمازيغيون اندماجا كلياً في إطار حضارة معينة كما اندمجوا في إطار الحضارة الإسلامية. وذلك لأسباب لا

وبعد الفقه يلاحظ أن الأمازيغيين ألفوا في النحو العربي وأجادوا التأليف. فتح لهم هذا المجال شيخ النحاة المغاربة عيسى بن عبد العزيز يَلْبُخْت الجزولي (ت 1210/607) تلميذ ابن بَرِّي ومؤلف «المقدمة الجزولية» و«الأمازيغيين». وتبعه تلميذه هو، أبو الحسن بن معطي الزواوي (1169/564 - 1231/628) صاحب «الدرة الألفية في علم العربية» التي استنَّ ابن مالك فيما بعد طريقتها التعليمية في إنشاء ألفيته، وفي إثر الجزولي وابن معطي برز أبو حيان الغرناطي البربري (1256/654 - 1344/745). شارح ألفية ابن مالك المشهور بمقارناته بين اللغات، وبرز أبو عبد الله بن أَجْرُوم الصنهاجي (ت 1323/723). فطارت شهرته إلى الأفاق الإسلامية كلها بفضل مصنفه التعليمي «الأجرومية» الذي اعتُمد في تدريس النحو العربي طوال ستة قرون.

يستخلص من هذا الاستعراض أن «البربر» أسهموا بقسط وافر في بلورة العلوم الإسلامية المتصلة بالدين مباشرة. شأنهم في ذلك شأن باقي الشعوب الإسلامية. لأنهم كانوا كثيري الحرص على صيانة العقيدة واستنباط ما في الأصول من قيم روحية وأحكام شرعية. يؤكد هذا القول سَبْقُ عدد منهم إلى رواية الحديث: نعني عكرمة البربري (24 - 105هـ) الذي كان يُرمَى بإضممار انتمائهم إلى مذهب الخوارج. ومن نهج نهجه كسابق، وميمون، ومحمد بن موسى (القاموس المحيط: بر). لم يتميز «البربر» في شيء أذن عن سائر الشعوب الإسلامية في العمل من أجل خدمة الدين أولا وأخيرا. إلا أن الفاحص لما أنتجوه في النحو يجعلهم هم المتخصصين فيما يمكن أن نسماه بيداكوجية

(Grands Ecrivains..). ونكتفي من العهد الإسلامي بذكر آثار أبي الحسن الشاذلي الغماري (ت 1258/656) صاحب «مجموعة الأحزاب» الذائع الصيت في العالم الإسلامي كله (مع التذكير بأن المتنبيين حاميم وعاصم بن جميل وأبي الطواجين ينتمون إلى قبيلة غمارة بالذات). فمريد الشاذلية أبي عبد الله الجزولي (ت 1465/870) الذي ترك للمغاربة مصنفه المشهور في الصلوات على النبي «دليل الخيرات». لقد اثر الشاذلي والجزولي تأثيرا كبيرا في الفكر الصوفي الإسلامي. ولا يخفى على المؤرخين دور الصوفيين الأمازيغيين الآخرين الذين لا يمكن حصر عددهم هنا. إلا أننا نرى من الضروري تخصيص ثلاثة منهم بالذكر لما لهم من شهرة في الأوساط الشعبية، ألا وهم أبو العباس بن العريف الصنهاجي، دفين مراکش (1088/481 - 1141/536) وأبو شعيب الدكالي، دفين أزموور، وأبو يعزى، دفين الأطلس المتوسط.

وبعد الصوفية، يسترعي الانتباه الفقهاء الأمازيغيو الأصل. من حيث عددهم، سواء عند المالكية أو عند الخوارج الإباضية. فلنكتف بذكر فقهاء المالكية الأمازيغيين البارزين. أمثال وَّجَّاح، وعبد الله بن ياسين، ومحمد بن تومرت، وابن أبي زيد القيرواني النفزواوي (922/310 - 996/386) صاحب الرسالة المشهورة، والامام المكودي، وابن عرفة الورغمي (1316/716 - 1401/803). وابن مرزوق العجيسي (1311/711 - 1379/781) وأبي العباس أحمد البرنوصي المعروف باسم «رُزُوق» (ت 899هـ) وأبي العباس أحمد الونشريسسي (ت 1508/914). وأحمد بابا الصنهاجي (1556/963 - 1627/1036).

إلى الوصف والسرد. كما هو الشأن في الرحلة والتاريخ. ولم يأتوا بطريف فيما هو إنشَاء توليفي صرف. لا في النثر الفني ولا في الشعر. (بناء على هذا الاعتبار. لا يستبعد أن يكون ابن منظور صاحب «لسان العرب» أمازيغي الأصل. كما تشير إلى ذلك نسبه: الافريقي). وكل من تألق جُمهم شيئاً ما في سماء الشعر العربي. من «البربر» قد نشأوا في بيئة لغوية عربية أو قديمة العهد بالاستعراب. كسابق البربري المشرقي النشأة. وابن الزقاق البولوكيني الأندلسي المولد والموطن. ومدغيس الزاجل. والامام البوصيري المصري المولد والنشئة... أما الأغلبية من الأمازيغيين الذين تعاطوا القريض وهم منغمسون في مجتمعهم «المغاري» المطبوع بالبربرية. فلم يفعلوا عن فيض خاطر. ولكن عن إرادة و«سبق إصرار». ذلك شأن كثير منهم. حتى كبار الفقهاء والكتاب المفكرين أمثال أبي علي الحسن اليوسي ومحمد المختار السوسي. ولذا يمكن القول إن «النبوغ المغربي في الأدب العربي» انحصر طوال العصور في ما هو «انتفاعي» ولم يتجل بوضوح لا في شعر رفيع ولا في نثر فني من الطراز الأعلى. والسبب في ذلك هو بطء حركة الاستعراب «الجماهيري» كما سنبين<sup>20</sup>.

اللغة العربية. إذ هم الذين أرسوا قواعدها بعدما كان الفرس قد أرسوا قواعد لاخراج فقه اللغة العربية إلى الوجود. ولا غرابة في ذلك لأن الفرس و«البربر» معا لم يكونوا يتكلمون العربية بالسليقة... ثم يرى الفاحص لانتاج الأمازيغيين أنهم كتبوا في التاريخ وأغزروا. خاصة في تاريخ المغرب. من مشاهير مؤرخيهم أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق (القرن الخامس الهجري). وابن عذاري. والجزنائي. وابن غازي الكتامي. والفشتالي. والافراني. والزباني (بتفخيم الزاي وتخفيف الياء). وأكنسوس. وغيرهم من صرحوا ببربريتهم. أو من يرى النقاد المشاركة في عملهم» نزعة بربرية «كابن خلدون. ومن وُفقوا من الأمازيغيين في تدوين الرحلات نخص بالذكر ابن بطوطة اللواتي وأبا عبد الله العبدري الحيجي. وعبد الله ابا سالم العياشي...

لكن إسهام» البربر «في قرض الشعر- العربي- وفي الأدب الإنشائي بصفة عامة لم يكن ذا وزن كبير بالقياس إلى إنتاج المشاركة. وحتى بالقياس إلى إنتاج العرب الأندلسيين. لا من حيث الحجم والكم. ولا من حيث الجودة والكيف بصورة أخص. ونرى السبب في ذلك هو أن جماهير الأمازيغيين كانوا لا يعرفون اللغة العربية. وأن من قُدّر لهم أن يتعلموها كانوا في أغليبتهم لا ينشؤون على الحديث بها عن سليقة. بل كانوا يجنحون في حياتهم اليومية العادية إلى التخاطب باللغة التي رضعوها مع اللبان. وهي الأمازيغية. ولذا برعوا في صناعة الكتابة مادام عملهم يهدف إلى التحليل والاستدلال والاستنباط. كما هو الشأن في الفقه والنحو والتأملات الصوفية الفلسفية. أو

ولما استولى العباسيون على الخلافة بمساندة قوية من الفرس، كان المغرب قد استقل سياسيا عن المشرق، فكان من الطبيعي ان يستمر الأمازيغيون على حالهم في التخاطب بينهم باللغة الأمازيغية . فطراً على العقيدة الجديدة في نفوسهم. ما طرأ من الانحرافات الطفيفة أو الخطيرة، وسجل التاريخ من ذلك ما سجله، في شأن البرغواطيين وغمارة خاصة. تلك الانحرافات من وجهة نظر المسلم تعتبر نوعاً من الردة، لكنها من وجهة نظر السوسولوجية التاريخية تعتبر ردود فعل ثقافية صادرة عن غريزة الحفاظ على الكيان الذاتي. ذلك هو مدلول إقامة الشعائر الدينية بالأمازيغية عند برغواطة وعند الغماريين. ولهذا يمكن ان نقول إن حركة الاستعراب لم تنطلق بمجرد دخول «البربر» في الاسلام، ولكنها انطلقت فيما بعد كما سنوضح. ولهذا يصعب التسليم بأن طارق بن زياد خطب في جنده بالعربية، ففهموا عنه بدون وساطة. إننا نرجح أن يكون إما خطب فيهم بالعربية وترجم عنه، وإما خطب فيهم بالأمازيغية ونقلت خطبته فيما بعد إلى العربية، مع ما يتحمل ذلك من الزيادة أو النقصان أو التبديل. فإن كان من غير الممكن أن يكون طارق جاهلاً للعربية، نظراً لقدم عهده بها في لزومه لمولاه موسى بن نصير، فليس من المحتمل ولا من الممكن أن يكون جنده «البربر» الاثنا عشر ألفاً يملكون - كلهم أو جلهم - ناصية لغة الضاد بحيث يفهمون ما يقول. وما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن تلك الخطبة المشهورة أُلقيت أصلاً بالأمازيغية، كونها أثارَت في نفوس أولئك الجنود البربر «حماسة للقتال، حسب ما تفيد الروايات .

## استعراب الأمازيغيين.

النسبي: عوامله ومراحل: وأسباب بطئه.

إن كان جيل من الفرس المسلمين نبغوا في الأدب الإنشائي بشقيه الشعري والنثري، نبوغاً ظاهراً، فلأنهم نشأوا في عواصم البلاغة العربية بالعراق وخالطوا فصحاء العرب وقتئذ كانت العربية لا تزال متشبثة بمقومات فصاحتها الأولى، حيث كان الفتى منهم ينشأ عربي اللسان والجوارح معاً، منذ نعومة أظفاره، وذلك ما لم يعرفه «البربر» إلا في المغرب حيث كان العرب أقلية قليلة، ولا في الأندلس حيث لم يتيسر التآلف بين الشعوب التي تألفت منها المجتمع الاسلامي. فبقدر ما كان اندماج الفرس في الوسط العربي سريعاً بعد انهزامهم في القادسية، بقدر ما كان احتكاك الأمازيغيين بالعرب الوافدين على جزيرة المغرب «احتكاكاً شاقاً عسيراً على الطرفين كليهما، فبينما كان الفرس يعيشون في أحضان الثقافة العربية النائشة خلال القرن الأول الهجري، كانت المعارك والمناوشات متتابعة بين جيوش الولاة الأمويين وبين القبائل الأمازيغية. وبينما كانت الدعوة العباسية قائمة في خراسان يتعامل فيها العرب والفرس معاملة ود وتأزر، كان الغليان يسود بلاد المغرب بسبب تعسفات العمال الأمويين.

الأخرى الموجودة في أقصى شمالي المغرب في ذلك العهد. أما في البوادي حيث كانت تقطن الأغلبية الساحقة من السكان. لاسيما النائية منها. فلم تكن للعربية إلا أصداء ضعيفة تحملها معها الدعوة الإسلامية الجديدة. خاصة أن تلك الدعوة نفسها ما كان يمكنها الاعتماد بالأولوية إلا على الأمازيغية. ومن الصعب جدا أن يُعلم مثلا أكانت خطب الجمعة. في عهد الأدارسة ومن جاء بعدهم قبل الموحدين. تلقى بالعربية وحدها في معظم المساجد. أم كانت تلقى بالأمازيغية أم بهما معا؟... يسمح بهذا السؤال كون الأذان لإعلان الصلاة يلقي بـ «البربرية» في أوائل عهد الموحدين وكون الخليفة عبد المومن بن عليّ يحرق رسالاته الدينية ويخطب في الناس أيام الجمع بالأمازيغية. وكون البلاط الموحي يعتمد الأمازيغية لغة للتخاطب في المجالس (المسند الصحيح في مآثر..343.344). ولا يعزب عن الأذهان أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين نفسه. على تقواه وورعه. لم يكن يتكلم إلا بالأمازيغية. ولم تكن استهانتهم لمدح الشعراء الأندلسيين صادرة إلا عن أمرين. أولهما جهله للعربية. وثانيهما أن من تقاليد الأمازيغيين أنهم لا يتقبلون المدح إلا على مضمض. لاسيما المدح الحضوري .

فبما أن التمدن كان بطيئا. وأن سكان البلاد كانوا في معظمهم رحلا أو أشباه رحل يتنقلون بين الجبال والسهول وبين الواحات والنجود والصحاري. فقد ظلت المناطق المغربية. في هذه المرحلة. خارجة عن مجال النفوذ الفعال للغة العربية. إلا منطقة واحدة. هي التي كانت صلة وصل بين قطبي الإشعاع

إن من المؤكد في ضوء ماجريات التاريخ من عهد عقبة بن نافع إلى قدوم المولى إدريس جبل زهون. أن حركة الاستعراب لم تكن ذات مفعول يذكر. وأنها لم تنطلق في بطء بطيء إلا بعد تولية قبائل «أوريا» (لا أوربة كما يكتبه المؤرخون العرب) إدريس الأول سلطانا عليها. وستكون مسيرة الاستعراب في المغرب الكبير عامة. وفي المغرب الأقصى خاصة. مسيرة طويلة. بما أنها لم تبلغ مداها ونحن في القرن الخامس عشر الهجري. ثم منها ما تم في مراحل أربع. تميزت أولاها وثانيتها بالبطء والتلقائية. وتميزت ثالثتها بالتسارع الاضطراري. بينما تميزت رابعتها وهي الحالية بالتسارع المتزايد المثير لنوع من التمتع .

### 1 - المرحلة الأولى في مسيرة الاستعراب.

استغرقت هذه المرحلة عهد الأدارسة وعهد المرابطين والعقود الأولى من عهد الموحدين. في هذه الحقبة الممتدة من قدوم إدريس وليلى إلى وفاة عبد المومن بن علي الموحدي. على وجه التقريب. كانت العربية محصورة في مجال حضري ضيق تقاسمها إياه الأمازيغية. كانت السيادة للعربية في أحاديث الأسر الأدرسية والأندلسية والقيراونية التي استوطنت مدينة فاس. مع ترجيح الاحتمال أن أفراد تلك الأسر. لاسيما الذكور. كانوا يضطرون إلى تعلم الأمازيغية بصفتها لغة السواد من السكان. وكانت لها السيادة بطبيعة الحال في المساجد. حيث كانت تقام بها الصلوات الخمس ويتلى القرآن في حلقات التريل. وكانت لها السيادة في ما كان يُكتب. على قلته آنذاك. هذا في فاس وربما في وليلى وبدرجة أقل بكثير في المدن القلائل



(مولاي عبد الله أمغار حاليا) و«مازيغن» (وهي الجديدة الحالية) وأزمور، ثم أمحت، وهكذا استعربت مناطق دكالة والشاوية (أي تامسنا)، و«أزاغار» وهو «الغرب»، وما يشهد على تداخل الفصائل العربية مع الفصائل «البربرية» في دكالة والشاوية خاصة هو تداخل الألفاظ والتراكيب والتعابير الأمازيغية في اللهجات المحلية، وبتنقل «الجيش» الحزني من منطقة إلى أخرى استوطنت قبائل عربية جزءا من المناطق السهلية الأخرى، عند سفوح الجبال والممرات قرب العاصمتين الكبيرين فاس ومراكش، وتوغلت قبائل أخرى في الصحراء المغربية الغربية وموريتانيا واختلطت هناك ببقايا «زناكة» (صنهاجة اللمتونيين)، وهكذا تضافرت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية طوال عدة قرون لرسم الخريطة اللغوية التي وجد عليها المغرب عند وقوعه في قبضة الاستعمار الأوربي الفرنسي والاسباني، وهي خريطة تغيرت معالمها في مناطق معينة، بين عهد الموحدين ومطلع القرن العشرين، كما بينا. لكن حركة الاستعراب في المناطق الأخرى ظلت بطيئة كما كانت من قبل، خاصة في الجبال والواحات، سواء في المغرب أو الجزائر، وبالأحرى في قلب الصحراء حيث انعزلت قبائل التوارك أما في المدن، فإن حركة الاستعراب تسارعت ابتداء من عهد المرينيين، في فاس بالخصوص، لما تضافرت عوامل ثلاثة على تنشيطها: سياسة المرينيين التعليمية، ثم هجرة المسلمين من الأندلس إلى مدن شمالي البلاد، ثم تولي الشرفاء مقاليد الملك، مع العلم بأن السلاطين الشرفاء أنفسهم كانوا إلى عهد قريب يعرفون لهجة «بربرية

للثقافة العربية، أي بين فاس والأندلس، هي المنطقة المعروفة اليوم باسم «جباله». كانت القبائل القاطنة بتلك الجهة قارة السكن منذ قرون، ولذا يمكن الجزم بأنها أخذت تستعرب، ببطء ولكن باستمرار، على حافتي الطريق الرابطة بين فاس والأندلس، انطلاقا من العهد الذي تمتنت فيه العلاقات بين العدوتين، أي من أواخر القرن العاشر الميلادي الموافقة لأواخر القرن الرابع الهجري، وسنعود فيما بعد إلى نتيجة استعراب «جباله» كما نشاهدها اليوم.

### 2 - استعراب المغرب في مرحلته الثانية.

دشن هذه المرحلة، عن غير قصد، عبد المومن الموحي باستقدامه إلى المغرب (الأقصى) القبائل العربية التي كان الفاطميون من قبل قد أباحوا لها غزو إفريقيا انطلاقا من الصعيد المصري، فلما أخذت تلك القبائل جوب الأجداد في المغرب الشرقي والحواشي الصحراوية للأطلسين الكبير والصغير، شد وجودها أزر اللغة العربية، لاسيما أنها أخذت تتسرب شيئا فشيئا إلى السهول الأطلنتية وإلى بعض الممرات الفاصلة بين الكتل الأمازيغية الكبرى التي يتوكل في الدفاع عنها بين تلك الكتل (les Arabes en Berbérie). اذاك أخذت المناطق السهلية الشاطئية تستعرب، في بطء من دون شك ولكن بإطراد، خاصة أن قبائل «تامسنا» الأمازيغية كان المرابطون والموحدون قد كسروا شوكتها بقوة، وجعلوها فلولا غير متماسكة، فتقلصت في تلك النواحي رقعة التخاطب بالأمازيغية، وأخذت تنحصر في جزر لغوية مثل ما عرف عن «صنهاجة الذل» في ما حول تيط

بـ«الظهيري البربري» في نطاق عملهم الاستعماري المرتكز على مبدأ «فَرَّقْ تَسُدْ». فتطلع الوطنيون إلى معرفة الفكر السلفي الجَدِّد. واشترأت أعناقهم إلى المشرق من أجل استيراده. وأسسوا المدارس الحرة «سعيًا لنشر تعاليمه في أوساط الشباب. وأصلحت برامج جامعة القرويين. فنشطت بذلك الثقافة العربية الإسلامية نشاطًا كبيرًا. وساعد على انتشار مضامينها ظهور الصحف المناهضة للظلم الاستعماري. فاهتم المغاربة بالدعوة الاستقلالية، كل على قدر ما يستطيع حسب موقعه الاجتماعي والاقتصادي والجغرافي. وقويت رغبتهم في تعلم العربية، إذ صار الحافظ الديني مدعومًا بالحافظ الوطني. أضف إلى ذلك أن الشباب أولعوا بالاستماع إلى الأغاني الغرامية المشرقية على أمواج الأذاعة أو من أسطوانات الفونوغراف. وأن الأناشيد الحمَّسة للنضال كانت تستحوذ على مكامن الانفعالات الجماعية في المناسبات الاحتفالية. فخدم ذلك كله انتشار اللغة العربية، لاسيما أن وسائل النقل والمواصلات كانت قد تخطت عهد الدواب والخيل والابل و«الرقاص» إلى عهد الحافلة والقطار والهاتف والبريد السريع.

في هذه المرحلة بالذات - أي ما بين 1912 و 1955 - استعربت بعض المجموعات القروية المتوسطة الحجم، كقبيلة غيابة الجاورة لمدينة تازة، واستعرب عدد لا بأس به من العائلات الأمازيغية التي هجرت إلى السهول والمدن طلبًا للرزق، وكثرت بعثات الطلاب المتوجهة لمصر، من «المنطقة الإسبانية» على الخصوص، وساهمت حتى المدارس المعروفة آنذاك باسم «المدارس الفرنسية

» أو أخرى. كان محمد بن عبد الله العلوي «يكلم البربر في لسانهم» (الاستقصاء نقلًا عن الزباني) وكذلك الحسن الأول، حسب ما سمعناه من شيوخ قبائل الأطلس المتوسط الذين نشأوا في أواخر عهده. ومن المستبعد أن يكون أعوان الحزن لا يقتدون بالسلطين في الحرص على تعلم «البربرية». خاصة منهم عمال الأقاليم وقواد الجيش .

### 3 - المرحلة الثالثة: الاستعراب وسيلة ثقافية لمقاومة الاستعمار الأوربي الاستيطاني.

لما سُلطت على المغرب جيوش الاحتلال في مطلع هذا القرن الميلادي، كان رد الفعل الأول هو المقاومة بالسلاح على المستوى الشعبي، فانتقلت المعارك بسرعة من السهول إلى الجبال، واستمرت هناك المشادات الحربية بين القبائل - الناطقة كلها بالأمازيغية - وبين الفرنسيين والأسبان ما لا يقل عن ربع قرن. فخرجت القبائل المقاومة من المعمة، سواء في الريف أو في الأطلس الثلاثة، منهوكة القوى بشريا واقتصاديا. فضعفت من جراء ذلك المكانة الاجتماعية والسياسية التي كانت لها من قبل. وفي أثناء تلك الحقبة بالذات (1912 - 1937) ظهرت في المدن البوادر الأولى لقيام حركة وطنية مغربية ترمي إلى تنظيم مقاومة سياسية، بتعبئة المشاعر الدينية على أسس جديدة. كان قد وضعها في المشرق جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لتجديد الفكر الإسلامي. خلال القرن التاسع عشر، وتبلورت في الأذهان الخطوط العريضة لاستراتيجية المقاومة «السياسية - الدينية» سنة 1930، عندما استصدر الفرنسيون ما أسموه

(السيد Bisson المجاز في العربية) يلقن فيها مبادئ النحو العربي باللغة الفرنسية. بالإضافة إلى مبادئ الترجمة. في هذه الفترة صارت مادة اللغة «البربرية» مادة اختيارية تلقن خارج الحصّة الرسمية العامة. وفي أكتوبر 1941 ارتفعت حصّة اللغة العربية إلى ثلاث ساعات في الأسبوع. وعيّن السيد أحمد الأخضر غزال ( ) أستاذا للمواد العربية. وظلت «البربرية» مادة اختيارية تُدرّس تحت إشراف «معهد الدراسات المغربية العليا» كما تُدرّس في مراكز أخرى كفاس ومراكش. وابتداء من سنة 1949 صارت حصّة المواد العربية أربع ساعات. ثم أحدثت أقسام إعداد الباكلوريا.

حرصنا أن نثبت هنا هذه المعلومات. فيما يتعلق بإعدادية أزرو. لأنه كثيرا ما يقال ويكتب في الموضوع أشياء تملّحها مشاعر وطنية في غير حُرّ للحقيقة المجردة. بينما ينبغي أن تسجل للتاريخ حقائق أخرى يُخشى أن يغمرها النسيان. منها مثلا أن منطقة الأطالس الثلاثة ظلت خاضعة. طيلة عهد «الحماية». للحكم العسكري الفرنسي. لا يُتَجَوَّل فيها إلا بإذن. سكانها مجبرون على تأديّة التحية العسكرية للضباط الفرنسيين. مفروض على كل ذكر بالغ منهم أن يقوم بالخدمة الاجبارية في الاوراش لمدة أربعة ايام من كل سنة؛ ونزلاء سجونها ملزمون بإجّاز جميع الأعمال الشاقة التي تخطر ببال الحاكم. يُصَفُّ منهم في الحديد كل من سوّلت له نفسفه أن يحتج أو يتذمر. ويساق دامى الرسغين. وهو يرسّف في قيوده. إلى مقالع الأحجار وما شاكلها من أماكن الكد والكدح .

المغربية «في تعليم اللغة العربية لأبناء الأعيان في الحواضر. وتخرجت من ثانويات» مولاي إدريس «بفاس. و«مولاي يوسف بالرباط و«سيدي محمد» مراكش أجيال من الطلبة. قليلة العدد لكنها متينة التكوين في اللغتين العربية والفرنسية. أما في «المدارس الفرنسية المغربية الحضرية» (écoles urbaines) فكانت حصّة المواد العربية لأجواز ساعتين ونصفا في الأسبوع (بدلا من أربع ساعات في مدارس أبناء الأعيان). وفي المدارس «الفرنسية المغربية القروية» — التي كان عددها ضئيلا جدا — كانت حصّة المواد العربية منعدمة (Bulletin de 1920l'enseignement...). حيثما كانت توجد تلك المدارس. وفي سنة 1947 ارتفعت حصّة المواد العربية في جميع «المدارس الحضرية الفرنسية المغربية» إلى سبع ساعات. ثم ارتفعت إلى تسع ساعات وعشر دقائق سنة 1950. وتقرر في السنة نفسها مبدأ إدراج المواد العربية في برامج المدارس المهنية (07.10 س) والمدارس القروية (08.10 س). (Horaires- Programmes, 1950 Instructions, ). أما بإعدادية أزرو (Le Collège Berbère d'Azrou) فقد تطور الوضع كما يلي. فيما بهم الأقسام الثانوية الأربعة: من سنة 1928 إلى سنة 1935 كانت «البربرية» «شبه إجبارية. وكانت العربية تُدرّس من قبل مدير الإعدادية نفسه (السيد Roux المبرز في الأدب العربي) خارج الحصص العادية. في ظروف مادية ومعنوية مزرية. بمعدل ساعة في الأسبوع. ومن سنة 1935 إلى سنة 1941 أدرجت ساعة اللغة العربية في الحصص العامة الرسمية. كان مدير الإعدادية

الظاهرة لازمت تاريخ المغرب ابتداء من عهد الموحدين. ولاشك أن بوادرها الأولى برزت للوجود في عهد الأدارسة، ولعل تفاعمها هو الذي حمل موسى بن أبي العافية المكناسي على اضطهاد كل من يدعي الشرف. وعلى كل حال، كانت هذه الظاهرة عاملا من أقوى عوامل الاستعراب. تستدرج الأمازيغي من طلب الرزق أو علوم الدين إلى التماس المكانة الاجتماعية أو السياسية، إلى التنكر لأصله.

هذان العاملان المتداخلان، الديني والسياسي الاجتماعي، لا يزالان مفعولهما ساريا إلى اليوم. لاسيما في الأوساط التقليدية، وقد دعمهما، كما رأينا فيما سلف من القول، عزم المغاربة على مقاومة الاستعمار الأوربي المسيحي خلال الحقبة الممتدة من 1912 إلى 1955. فالى هذا التاريخ (1955) كانت حركة الاستعراب منذ انطلاقتها الأولى في عهد إدريس الأول، وخلال مراحلها الثلاث التي حددناها، حركة تلقائية توجهها إرادة الأمازيغيين أنفسهم، وكان الاستعراب وسيلة ليس غير. ولما جاء عهد الاستقلال تفجرت الطاقات المكبوتة في طلب العلوم على اختلاف أنواعها، مع ترجيح كفة العلوم الدنيوية - لأول مرة في تاريخ المغرب - على كفة العلوم الأخروية، فاتخذت السياسة التعليمية شعارات أربعة، هي: التوحيد، والتعميم، والتعريب، و«المغربة»، وتبنت الأحزاب هذه الشعارات بتفاوت في الافتناع بصلاحيته مضمينها غير الواضحة، وفي تلك الأثناء ازداد المغرب تأثرا بالمشرق سياسيا وثقافيا، فظهر للعيان شيئا فشيئا أن من وراء شعار التعريب - الهادف مبدئيا إلى إقصاء

## 4 - الاستعراب يتسارع ويصبح تعريبا مقصودا في نطاق إيدولوجيا يكتنفها اللبس.

كان العامل الأول والأقوى في استعراب من استعرب من الأمازيغيين، خلال المرحلتين الأولى والثانية، هو صدق العقيدة الإسلامية وتقديس اللغة العربية والتعلق بالقبلة. وكان طريق الاستعراب هو ممارسة الشعائر الدينية وحفظ القرآن والاحتكاك بمن استوطن المغرب من العرب، لكن عاملا آخر ترتب على وجود العامل الأول، وهو العامل السياسي الاجتماعي، لا يخفى أن الإسلام لا يفصل الدين عن الدنيا، ومن نتائج ذلك أن كل ممارسة سياسية تستوجب الدعوة باسم الإسلام، وأن مشروعية الحكم والسلطان لا يمكن أن تستمد إلا من التقاليد الإسلامية، وبما أن التقاليد الإسلامية السُّنَّية تستوجب على المرشح للامامة (أي للحكم) أن يكون قرشيا، فقد صار من المتحتم على كل ذي طموح سياسي أن يثبت «قرشيته»، فتبارى الناس في ذلك «الاثبات» وأُنبت المغرب غابا من «الشجرات القرشية» و«شجرات» الانتماء إلى الدوحة النبوية، التي بها يوصل إلى المكانة الاجتماعية المؤهلة لمشاركة «أهل الحل والعقد» في اتخاذ القرار السياسي (Esquisse d'histoire religieuse; Histoire politique du Maroc). وهكذا تتسلسل مواقف الفرد من انقطاعه عن عشيرته الأمازيغية في مرحلة أولى، إلى تعلمه العربية وعلوم الدين، إلى اندماجه في وسط حضري أو قروي غير وسطه الأصلي، إلى إخراجه «شجرة» يعلن بها انتسابه إلى بيت الشرف النبوي، أو على الأقل إلى قبيلة قريش، هذه

يتحمس لمساندتها من يتحمس على مستوى الدولة أو على مستوى الهيئات أو مستوى الأفراد، بما يحتمله التحمس من عفلة عن الواقع، ومن التغاضي عن الحقيقة، ومن ميل إلى التزييف والتحريف، ومن تجاهل لمشاعر الناس. وهكذا أصبح الأمازيغيون لأول مرة في تاريخهم الاسلامي يشعرون بأن هناك إرادة غير إرادتهم الذاتية تدعوهم إلى الاستعراب بالحجة العرقية الملفوفة في لفائف الحجة الدينية (1).

### 5 - الوضع اللغوي بعد ثلاثة عشر قرنا من الاستعراب:

اللغة الرسمية في المغرب هي اللغة العربية. ولأمر ما نص الدستور على ذلك، لأن الدساتير عادة تُعْفَل هذه المسألة، باعتبار أن اختيار اللغة معبر عنه ضمنا، ويستخلص من خطب المسؤولين، من حيث أشكالها ومحتوياتها أن المقصود بالعربية هو الفصحى، لأن ما سواها ما هو إلا «لهجات». في هذا الاختيار أيضا تأكيد للانتماء العربي. فنتج من ذلك أن فئات من المثقفين عامة، ورجال التدريس خاصة، يتبارون على الظهور بمظهر من ذلّل الفصحى وجعلها طوع لسانه وقلمه. ونتج من ذلك أن الخطباء المغاربة أصبحوا أشد الناس حرصا على تطبيق قواعد النحو والصرف والأعراب، حتى إن المشاركة يَعْجَبون لذلك، وحتى إن بعض المتفصحين يُخرجون الناس ويخرجون أنفسهم بما في مواقفهم الخطابية من تكلف، ثم إن من بين المثقفين من يميل بحكم تكوينه الأول إلى التخاطب والكتابة بالفرنسية. وكثيرا ما يندد بسلوكلهم أنصار العربية ويعدونهم مُستَلَبِينَ .

اللغة الفرنسية من المجال الثقافي — غاية غير مصرّح بها، هي طمس المعالم الأمازيغية في النسق الحضاري المغربي، وجعل اللغة الأمازيغية منبوذة لا يُهتم بها حتى على صعيد الدراسات النظرية كما هو معمول به في كبريات الجامعات العالمية. وذلك في نطاق دعاية، بل دعايات سياسية يكتنفها اللبس من حيث إنها ترتكز على القيم الاسلامية تارة، وعلى إيديولوجيا القومية العربية تارة أخرى، أو حتى على «القيم الوطنية» إذ توهم نفسها وتوهم الجيل الصاعد أن «الظهير البربري» هو الخطيئة الأولى التي ينبغي «للبربر» أن يكفروا عنها بالاستعراب السريع غير المشروط، وكثيرا ما تخلط تلك الدعايات (المتضاربة فيما بينها أحيانا) المشاعر الدينية بمشاعر الانتماء إلى «العرق العربي» و«تحوّل الرغبات والتمنيات إلى تعازيم ترددها صباح مساء لعلها تفي بالمطلوب، كما يتجلى ذلك في عبارتي «العروبة والاسلام» (بتقديم الانتماء العرقي على العقيدة) و«المغرب العربي» (بتأكيد عروبة المغرب خشية أن يحدث في شأنها نزاع). ولما كانت هذه الدعاية تتجاهل بنية المجتمع المغربي السوسيوولوجية، وتتناسى تاريخ المغرب وما يتضمنه من عبر لا بد من الاعتبار بها، كان من المتوقع أن يصدر رد فعل عن كل مغربي له مشاعر أمازيغية «معقلنة» أو غير «معقلنة». فنشأ بالفعل تيار فكري تجسم أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، في ظهور جمعيات ثقافية أمازيغية النزعة وقفت منها السلطات السياسية — إلى حد الآن — موقف المنع غير المعلن، سواء في المغرب أو في الجزائر. وهكذا لا تزال عملية «التعريب» متواصلة

(جُلَيْين) والعَيْنِين (لُعَيْين) والأذْنِين (لُؤذْنِين). ولا تزال تستعمل لفظة «لُفا» بدلا من «لُفم» أي الفم، وحرف القاف منطوقا قافاً، وقبيلة بني يازغة هذه قبيلة «بربرية» الأصل كانت فاطنة في المكان الذي بُنيت عليه مدينة فاس أو في جواره. وقد كانت إلى عهد قريب تدعى أن أراضي «رأس القليعة» الواقعة قرب باب فتوح ملك خالص لها فُوت عليها بصورة غير شرعية في عهد ما، ويُلقح باللهجة اليازغية لهجة جبل زهون، ثم لهجة قبائل «جبال» المتعددة. هذه اللهجات لا أثر فيها لقلب القاف كافا معقودة، فيما هو لفظ عربي أصيل، بينما يحدث ذلك القلب في حرف الجيم لسبب يستحق أن يبحث عنه، لكنها لم تتخلص على قديم استعرابها من تراكيبتها ذات الطابع الأمازيغي. ولا من أعمال القواعد الصرفية الأمازيغية وإسقاطها على التعابير العربية. من الطريف مثلا أن تسمع السقائين (الكراية) ينادون في الأسواق «ها لُما باردين!»، والسر هو أن الماء يُعبر عنه في الأمازيغية بجمع لا مفرد له. وبالإضافة إلى هذا تتميز تلك اللهجات بحافظتها على الكلمات «البربرية» غير معربة الصيغة، كما هو الشأن في «أباريق» أي اللطم و«أزدم» أو «تازدمت» حزمة الخطب، إلخ... وتتميز بجرسها ونبراتها المائلة عند «جبال» خاصة في ميل شبه خفي إلى الكشكشة عند النطق بالكاف، وتتمثل المرحلة الثانية من مراحل الاستعراب، أولا في اللهجات المنتشرة في السهول الأطلنتية و«جود» تادلا» والصحراء الغربية ومناطق أخرى متفرقة حدث فيها اندماج لغوي بين القبائل الأمازيغية والقبائل العربية التي استقدمها

أما الشرائح الاجتماعية العريضة من المغاربة فلغتها المعتادة المنطوق بها عندهم عن سليقة، وإما هي «الدارجة» أي العربية» العامية» التي لا إعراب فيها، وهي لغة مشتركة بين جميع السكان على وجه التقريب، مع ما يطرأ عليها جهويا من تغيرات في الجرس والنبرة والالفاظ؛ وإما هي الأمازيغية المنقسمة إلى ثلاث لهجات رئيسية يتميز بعضها عن بعض بالجرس والنبرة والالفاظ أيضا، والتفاوت في التأثر بالعربية. ولا سبيل في الوقت الراهن إلى إحصاء عدد المغاربة الذين لا يزالون يعرفون الأمازيغية ويتكلمونها يوميا، لأن الدوائر المسؤولة ألغت منذ الإحصاء الثاني للسكان في عهد الاستقلال، الاهتمام بإدراج «البربرية» بين اللغات التي يُحتمل في المواطنين أنهم يعرفونها؛ وإذا صرح أحدهم تلقائيا بأنه يعرفها أجب بأنها ليست بلغة، وإنما بإمكان الباحث أن يطلع على عدد المغاربة الذين كانوا سنة 1939 يتكلمون الأمازيغية، في منطقة النفوذ الفرنسي إذاك، بجرده ما هو وارد في الوثيقة الإدارية التي عنوانها: «Répertoire...alphabétique des confédérations»

لكن ما يهمنا أكثر هنا هو إظهار ما من تطابق بين اختلاف اللهجات العربية المغربية وبين تتابع المراحل الأربع التي مر بها الاستعراب، نجد أولا اللهجة الأقدم نشوءا، وهي لهجة «بني يازغة» (الذين عرفوا قديما باسم «إزغيتن»). هذه القبيلة الصغيرة المنزوية على نفسها بين القبائل الناطقة بالأمازيغية في شرقي الأطلس المتوسط، لا تزال تستعمل إلى الآن، أو إلى زمن جد قريب، صيغة المثني في ذكر اليديين (لُيْدِين) والرجلين

إن مدينة فاس هي التي حافظت أكثر على ذلك التراث .  
وفيما يخص مرحلتي الاستعراب الأخيرتين، الثالثة والرابعة،  
من حيث تأثيرهما في تطوير خريطة المغرب اللغوية، نقول  
باختصار إنهما خلقتا الظروف الملائمة لتوحيد اللهجات  
العربية، بحيث أصبح الفاسي يتخاطب في يسر مع الدكالي،  
وصار الفيلاي يتفاهم بدون عناء مع «الجبلي»، وخلقت نوعا من  
الترابط والتفاعل بين «العامية» و«الفصحى» لم يكن معهودا  
من قبل بفضل الاعلام و«التمدرس». لكنهما تميزتا باتجاهين  
ثقافيين متعارضين مصطنعين كليهما. تميزت المرحلة الثالثة  
(1912-1955) بعمل الفرنسيين من أجل إبراز الثقافة الأمازيغية  
الأصلية إبرازاً مُغرضاً غير طبيعي (مع السعي في تفتيت تلك  
الثقافة نفسها)؛ لكن عمل بعض العلماء اللغويين الفرنسيين  
(والأوروبيين عامة) المتجرّدين من كل نية سياسية أفاد الثقافة  
الأمازيغية الأصلية، وأفاد اللغة الأمازيغية خاصة، لأنه عرفها  
بنفسها وبإمكاناتها الذاتية، بحيث لا يمكن التغاضي عن نتائج  
ذلك العمل، ولا يمكن طرحه من ميزان التراث الثقافي «المغربي».  
وتميزت المرحلة الرابعة، أي هذه التي بدئت سنة 1955 ولم تنته  
بعد، بنهميش الأمازيغية تدريجيا، فبعد أن كانت الأمازيغية  
لغة يتخاطب بها في أعلى دائرة من دوائر الدولة منذ أقل من  
قرن، أصبح استعمالها في نظر بعض رجال القضاء ورجال الإدارة  
والسلطة على الأقل، محظورا حتى على من لا يعرف سواها،  
وذلك تطبيقا لحرف القانون. وتميزت هذه المرحلة بظهور عقلية  
علمية «يكاد يختص بها المؤرخون التقليديون وتلامذتهم من

الموحدون، لكن الاندماج لم يطمس شواهد الماضي الدالة على  
الانتماءات الأصلية، بحيث جُدت تلك الشواهد في مُعطيّن  
اثنين، أولهما أسماء القبائل نفسها، أو أسماء البيطون وأسماء  
الأفراد (أحيانا) دكالة = دوكال؛ مولاي عبد الله أمغار؛ أيت  
فلان وأيت فلان، في قبيلة زعير؛ زمور «العرب» المرتبطة عضويا  
بزمور «الشلح» (...): وثانيهما هو المعجم اللغوي المستعمل، لما  
يوجد فيه من المفردات الأمازيغية المعربة (الزكّاوة؛ المركون؛ ركّل  
إلخ ...) بتفاوت في الكثرة والقلة بين «تادلا» و«دكالة» والشاوية  
والغرب، وقد جُدت قبيلة عربية لم تندمج فيها عناصر أمازيغية  
كثيرة، فيلفت نظرك كونها محتفظة بكثير من أساليب  
التعبير الخاصة بالعربية، نذكر كنموذج لها قبيلة «الحياينة  
«القاطنة بإقليم تاونات، ولاشك أن ما حدث في البوادي المغربية  
من» اندماج لغوي «قد حدث في البوادي الجزائرية والتونسية  
والليبية، وحدث في صعيد مصر أيضا حيث اختلطت، في عهد  
الفاطميين، قبائل هوارة الأمازيغية بمسبقتها إلى هناك من  
بقايا القبائل العربية التي هجرت نحو الغرب .

وتتمثل المرحلة الاستعرابية الثانية، ثانيا، في آثار هجرة  
المسلمين من الأندلس، بعد سقوط غرناطة في لهجات فاس  
وسلا والرباط وتيطاون وإشّاون (المحرف اسمها إلى شفشاون)،  
لاشك أن أفواج المهاجرين حملت معها من العدوة الأخرى  
مفردات وأساليب تعبير أثرت في لغات المدن المشار إليها، لكنها  
لم تجرّدها من تراثها الأمازيغي المتمثل في ظواهر فونولوجية  
ومعجمية وتركيبية، وحسب ما تفيد المقارنة السريعة الأولى،

لنحقق أحد الاحتمالين: إما أن ينموا ثقافتهم الذاتية ولغتهم بدافع الشعور القومي، وإما أن يستعربوا بسرعة كما استعرب المصريون في وادي النيل. وإذا لم يُحَقَّقْ لا هذا ولا ذلك، كان عامل استعرابهم النسبي البطيء هو الدين وما يتبع الدين من نواميس السياسة. إن العقيدة الإسلامية هي التي عرّبت من تعرّب من الأمازيغيين، كما أن العقيدة المسيحية هي التي «لُتنت» من تَلَّتْن من الشعوب الأوربية .

الطلبة والأساتذة الجامعيين وغير الجامعيين: يتوخى المتسمون بتلك العقلية طمس المعالم الأمازيغية في الشخصية المغربية، ومصادرة ما تمكن مصادرتة من إيجابيات التاريخ لفائدة غير الأمازيغيين. وترك سلبيات الماضي « للبربر». فنشأوا في هذه العقلية جيل الاستقلال وبالغوا أحيانا إلى أن أمَلُوا. لكنهم صاروا مدرسة لمن فيه استعداد من المسؤولين الكبار حتى إن أحد هؤلاء منع على مكاتب الحالة المدنية مثلا تسجيل أسماء المواليد كلما ظهر أنها أسماء «بربرية» «الأصل ك» إيدر» و«إيزا» و«تودا». هذا بينما يُغَضُّ الطرف عن التجاوزات الخلة بروح الدستور وحرفه. كأن يُكتب أو يُقال في النصوص والخطب الرسمية والشبيهة بالرسمية «المغرب العربي» بدلا من «المغرب الكبير» و«اللغة القومية» «أو» اللغة الوطنية «بدلا من» اللغة الرسمية» بخصوص اللغة العربية، مع أن أسباب النزول في اختيار كل من العبارتين «المغرب الكبير» و«اللغة الرسمية» معروفة عند أهل الحل والعقد .

والخلاصة من كل هذا أن مسيرة الاستعراب في المغرب كانت جد بطيئة طيلة اثني عشر قرنا ونيف، وأنها تسارعت شيئا ما في النصف الأول من القرن العشرين بحكم ضرورة التعبئة باسم الدين من أجل مقاومة الاستعمار الأوربي. ثم تغيرت ظروفها الاجتماعية والسياسية في عهد الاستقلال. ولقد كان لبطنها سببان، أحدهما تاريخي، هو انفصال المغرب عن المشرق إثر معركة بكدورة، وثانيهما جغرافي، وهو ضعف العمران و«التمدن»، فلو كان «البربر» متجمعي السكن



ودفئا، وغزارة أو قلة في الماء، باعتبار تتابع الفصول، ثم وجود» هامش «صحراوي شناسع وراء الأطالس الثلاثة، ونجود داخلية شبيهة بالجرداء، وثانيهما هو اجتياح القحط والجفاف مناطق معيَّنة لمدة معينة، أو مناطق مترامية الأطراف على مدى سنوات، وهو ما يسمُّيه صاحب «الاستقصا ب» توالي المجاعات والانتجاعات «(ج. 4 ص 67). هذان العاملان هما اللذان تسببا في استمرارية نمط العيش الاستنجاعي، الذي تسبب بدوره في استمرارية النظام القبلي في جل الأقاليم، لأن النظام القبلي هو المواتي لحياة الحل والترحال الجماعيين، وعلى النظام القبلي ترتب ما ترتب من الخصوصيات في التقاليد الاجتماعية، التي تؤثر بدورها في طباع الأفراد، من تلك الخصوصيات مثلا الميل إلى التقشف ورفض حياة البذخ والتنعيم، ومن تلك الخصوصيات الحرص على إقرار مبدأ المساواة بين أفراد العشيرة وبين العشائر في نطاق الكيان القبلي، وعلى إقامة أعراف يتعارف عليها في التساكن والتعايش والتعامل في سياق الانتجاع المستمر، ثم على مراعاة العصبية التي هي ضمان القدرة على الدفاع عن المصالح المشتركة في حدود آفاق القبيلة المكانية والزمنية، أو على أحسن تقدير، في حدود آفاق حلف من القبائل المتجاورة، ومن هذا كله يحصل توازن اجتماعي نسبي وغير قار يكون في أغلب الحالات هو الحائل دون قيام نظام سياسي قوي، مركز في المكان، طويل البقاء في الزمان، وفي ضوء هذه الاعتبارات يُبحث عن أسس الديمقراطية المحلية «البربرية»، وعن سر قدرة الأمازيغيين على مواجهة القوى الأجنبية بعدم الاستسلام لها

## خصوصيات الأمازيغيين ومميزاتهم.

**هل للأمازيغيين خصوصيات بصفتهم "برابرا" ليس غير؟**

لقد ذهب كثير من المؤلفين في تاريخ أفريقية الشمالية، والأوروبيون خاصة منهم، إلى أن الأمازيغيين كانوا دائما، ولا يزالون يميلون إلى الفوضى، وبالتالي إلى التخلص من قبضة كل سلطان يريد تنظيم أمورهم، فنتج من ذلك تتابع الثورات والفتن، بغير انقطاع، في مواطنهم، وتعرُّضها المستمر للهجمات الآتية من الخارج، ويعزى ميلهم هذا في نظر أولئك المؤلفين إلى... طبيعتهم الأمازيغية التي انفردوا بها. وهذا ليس بتفسير علمي، بل هو تفسير نظري محض صادر عن حسن نية أو عن رغبة سياسية، والواقع الملموس، الذي يلمسه كل من أتيح له أن يدرس تواريخ الأمم مقارنة من زوايا مختلفة، هو أن طبيعة أفريقية الشمالية الجغرافية هي التي كَيِّفت في العمق المجتمع الأمازيغي وجعلت منه مجتمعا أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة والتمدُّن؛ وذلك بحكم عاملين اثنين، أولهما اختلاف المناطق خصبا وجديا، وبرودة

أزرف» والألمين على شؤون القرية» أنفلوس». كان القائد يُعَيَّن عند نشوب الحرب، تنتهي مهمته بانتهاء الحرب، وكان الرائد يُعَيَّن لمدة سنة، من فصل ربيع إلى فصل الربيع الذي يليه. أما عضو مجلس القضاء فكان يُعَيَّن لمدة غير محدودة لا تنتهي عادة إلا بوفاته أو باستقالته لعذر مقبول. كان تنظيم الانتخاب يقتضي من «شيخ المرعى» أن يكون عارفاً لأماكن الكلاً في تسلسلها بين الجبال والسهول، أو النجود والبراري، ولأهمية مساحتها ونوعيتها وما هو منها ملك خاص، وما هو مشاع (أمدول = المرعى الشاسع: ألو = المرعى الخصب المحضر: أزيك = البقعة فيها كلاً: أكّال أو أودال = المرعى المحطور). وكان فوق هذا ينبغي له أن يكون ديبلوماسياً قادراً على التفاوض بنجاح مع شيوخ القبائل الأخرى عند المنازعات. أما القائد «شيخ الاستنفار» فكان ينتخب لابلانصويت المرجح لرأي الأغلبية، ولكن بالتعيين المتفق عليه بالاجماع من بين الشجعان الذين لهم سوابق في إصابة الظن والإشارة بالخطّة الحربية المناسبة. كان يفوض إليه الأمر كله يوم القتال؛ أما شؤون التعبئة والاستعداد فمن اختصاص مجلس الشورى. وكان من المفروض في كل مرشح للعضوية في مجلس القضاء أن يكون ملماً بتفاصيل الأعراف والتقاليد التي تسنن بها القبيلة، وملماً كذلك بالشرعة الإسلامية في خطوطها العريضة، قادراً على الاجتهاد حتى يساهم مع زملائه في حسم القضايا التي هي من باب النوازل حسماً يُغني «فقه الأعراف» وما تجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل تتفق على إنشاء مجالس مشتركة بينها تقوم مقام محاكم الاستئناف.

حتى عند توالي انتصاراتها الحربية أو السياسية. وفي ضوء هذه الاعتبارات يُدرك السبب الذي من أجله كان «البربر» في العهد الإسلامي يرغبون عن اتخاذ الحكم من ذويهم وبنو جلدتهم، ومن أجله كان كل ذي طموح سياسي منهم يتنكر لانتمائه القبلي ولانتمائه الأمازيغي (Histoire politique du Maroc).

الديموقراطية المحلية كانت قائمة على مبدأ المساواة بين أفراد العشيرة وبين العشائر التي جمعتها قرابة الدم. ثم بين بطون القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتجاورة، ولكن مع مراعاة توازن القوى. لا ينتدب لتمثيل الجماعة في دواليب هذا الحكم الديموقراطي نواب يُعَيَّنهم الاقتراع، ولكن يُنتدب له الشيوخ الذين ترشحهم مكانتهم الاجتماعية و قدراتهم. كان رؤساء العشائر يتهربون من حمل المسؤوليات نظراً لما يتبعها من التكاليف التي لا يجزى عليها بأي تعويض. ولذا كانت مجالس الشورى خار لا في الفصل بين مرشحين للمناصب بانتخاب أحدهم، ولكن في إيجاد من يقبل حمل المسؤولية، وكان المجلس يضطر أحياناً إلى اختيار عضو غائب عن قصد أو عن غير قصد، فيأتيه في بيته للالحاح عليه كي يقبل منصباً ما، كانت المناصب الرئيسية، عند قبائل الرحل وأنصاف الرحل هي الآتية: القيادة في الحرب، والريادة في الاستنجاع، وعضوية مجلس القضاء. وكانت ريادة الاستنجاع تعوِّض عند أهل المدر بالأمانة على شؤون القرية، كان الرائد يسمى «أمغار ن توكا» = شيخ المرعى «والقائد» أمغار ن تيريت = شيخ الاستنفار»، والعضو في مجلس القضاء «أمزارفو» أو «أنزارفو»، والقضاء الجماعي

## تاريخ الأمازيغيين

الأمازيغي إلى منتصف القرن العشرين، والغالب أنها لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة. ولقد كانت مصدر قوة وضعف في آن واحد. كانت مصدر قوة لأنها حالت دون قيام أي نظام فيبُودالي كالذي عرفته أوروبا ودون قيام أي نظام طاغوتي كالذي عرفه وادي النيل لمدة ثلاثة آلاف سنة، ودون قيام أي نظام قيصري ولا كسروي. ولذا لم يُستعبد «البربر» قط استعبادا جماعيا، وحتى إذا برزت لهم في الأفق قوة تدعي الجبروت ناوشتها القبائل بدون انقطاع أو رحلت عن منطقة نفوذها متحينة الفرص للانقضاض عليها وكسر شوكتها عاجلا أو آجلا، وكانت مصدر قوة نسبية مكّنت الأمازيغيين من مواجهة الهجمات الاستعمارية التي توالى على أفريقية الشمالية ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد. ذلك لأن حياة البداوة تمنع الشعوب من الركون إلى التنعم والاسترخاء، من جهة، ولأن المهاجمين كانوا يجدون أمامهم دائما مقاومة سريعة التنقل من ناحية إلى ناحية، غير ملتزمة بقرار رئاسة مركزية؛ فإذا استسلمت قبائل لاذت قبائل أخرى بالجبال أو بالصحراء لتنتقل منها بعد حين وتنغص على المستعمر مقامه وتجعله دائما في موقف الدفاع إلى أن تذهب ريحه مع الزمان وتبقى الأرض لأهلها. وما لاشك فيه أن الشعور المبهم بالانتماء العرقي أو اللغوي المشترك كان يضمن مستوى أدنى من التآزر بين القبائل في مواجهتها للأجنبي الدخيل. وكانت مصدر قوة نسبية لأنها عاقت عمليات المثاقفة التي تلاحقت على أرض المغرب الكبير عن بلوغ مداها في أي عصر من العصور، رغم طول الزمن، فمكنت اللغة الأمازيغية من البقاء. مكنتها من البقاء

وأن التفاضلي كان يوجب على المتقاضين استعمال تعابير معينة لاشعار المجلس الابتدائي، في لياقة، بأن حكمه مرفوض، واستعمال تعابير أخرى لاشعار مجلس الاستئناف بأن عليه المعوّل بصفته المرجع النهائي. كانت أحكام مجلس الاستئناف تنفذ غالبا بفضل ضغط أعيان القبيلة على المحكوم عليه، كانت المنازعات التي تعرض على مجلس القضاء لا تختلف في شيء عن المنازعات التي تشجر في المجتمعات الرعوية، أو في المجتمعات القروية من أجل الكلا والماء والخصومات المتعددة الأسباب، وحراسة البساتين وتحديد الحقول المزروعة. كانت قضايا القتل العمد من أكثر المسائل استعصاء على الحل، وكانت تعالج بالطريقة التي تعالج بها عند البدو الرحل في كثير من مناطق المعمور (Le prix du sang... 8 à 14). كان القضاء يجتهدون في تقدير التعويض عن الجروح اجتهادات تختلف من قبيلة إلى أخرى ومن سنة إلى سنة باختلاف الأوضاع الاقتصادية. كان التعويض عن الجرح في الوجه يحدد عند «أيت عطا» مثلا بالطريقة الآتية: يقف أحد القضاة أمام الجرح — بعد أن يكون الجرح الذي في وجهه قد التأم — ثم يسير القهقري رويدا رويدا إلى أن تتعذر عليه رؤية الندبة، أي اثر الجرح، فيتوقف ويقيس أحد القضاة الآخرين ما بينه وبين الجرح من عدد الخطوات، ثم يُصدر مجلس القضاء حكمه بأن يعوّض الجرحي عليه عن جرحه. فإن كان رجلا حُكم له بأخذ ما يساوي عدد الخطى غنما، وإن كان امرأة حُكم لها أن تأخذه بقرا.

هذه الأوضاع القبلية كانت سائدة في المجتمع التقليدي

المناسبة لنمط العيش القبلي المائل إلى البداوة. فوجدت تلك الثقافة نفسها في تنافس وتبار مع ثقافات أكثر نمواً. وسلّمت لها بالتعاقب على شغل مجالات التحضر والتمدن.

وهكذا يمكن القول إن «البربر» لم يكن لهم الاختيار بين المسار الذي ساروا فيه منذ فجر التاريخ إلى اليوم وبين مسارات أخرى. ولكن جغرافية مواطنهم الطبيعية هي التي رسمت لهم معالم ذلك المسار بما فرضته من أساليب الاستزراق وما يترتب عليها من ظواهر الدور والتسلسل بين تقاليد المجتمع وطباع الأفراد في التفاعل مع بيئة ليست بصريحة الخصب ولا بصريحة الجذب. تجود حيناً وتبخل حيناً. تضاريسها متجزئة. ومناخها مائل إلى الجفاف مطبوع بالمتناقضات التي من جرائها يستمر الجراف التربة. إذ لا غطاء نباتي ينظّم توزيع المياه بين الانصراف والتسرب إلى الجوف. ولا «أفق أول premier horizon» يسمح بظهور غطاء نباتي متماسك ذي شأن. وما على المرء. إن هو أراد أن يلمس هذه الظواهر والمظاهر شاخصة للعيان. إلا أن يُععن النظر في المناظر التي يمكنه أن يشاهدها من الطائرة. في تتابعها من وسط أوربا إلى جنوبي المغرب. إذا ما أتيح له السفر إلى المغرب يوم صَحُو من أيام الصيف أو الخريف أو الشتاء .

أما ما نبت فوق الأراضي المغاربية «من حضارات مستوردة. فيرجع سبب ازدهاره ازدهارا نسبيا إلى كونه نُقْلة فُصلت عن حضارات احتضنت نشأتها وترعرعها أراض أخرى بطبائع جغرافية أخرى. رُبَّت شعوبا أخرى. إما بخصبها المتواصل ووفرة أسباب التكاثر والتماسك والتكاثر فيها. وإما بقساوتها الداعية

في حالة متردية. لكن في حالة قابلة للانتعاش. بينما صارت إلى خبر كان عشرات من اللغات التي عايشتها وعاصرتها في القديم. كالمصرية القديمة واللاتينية والفينيقية والغالية وغيرها .

لكن. من جهة أخرى. كانت تلك الأوضاع مصدر ضعف ملحوظ. لأنها <sup>ولا</sup> جعلت الأمازيغيين. بصفتهم أمة. في مواقف الدفاع عن النفس في جل حقب التاريخ. مع ما كان يتوفر لهم من القوة الحربية الكمينية في عدد قبائلهم وفي تعوُّدهم حياة الشظف. كانوا يهاجمون في عقر دارهم. ولم يكونوا قادرين على التكتل العسكري الذي تنبع منه الرغبة في التوسع على حساب الغير. وكانت مصدر ضعف لأنها منعت قيام أي دولة مركزية يسمح لها طول بقائها بتنظيم الأمة في عمق كيانها. ولو مع مصادرة جزء مهم من الحريات. وبإنشاء حضارة مادية رفيعة متميزة. وكانت مصدر ضعف. بما أن امتناع «البربر» عن السماح لأية فصيلة منهم بالسيطرة والتعالي كان يضطرهم إلى حكيم غيرهم في شؤونهم. إما على مستوى الدول وإما على مستوى الأفراد. إلى أن صار ذوو الطموح السياسي منهم. بسبب ذلك. ينتحلون الأنساب غير الأمازيغية كي يَسْتَتَبَّ لهم الأمر: فعل ذلك ابن تومرت وعبد المومن بن علي والسلطين المرينيون وغيرهم. كما فعله من قبلهم يوبا الثاني إذ كان يدُعي ويرسُخ في أذهان الناس أنه من سلالة البطل اليوناني الأسطوري «هرقل. (Gsell, VIII, 237) «Hercule, Heraklès». وكانت تلك الأوضاع مصدر ضعف. لأنها حالت بين الثقافة الأمازيغية الذاتية وبين النمو والازدهار. وأبقتها على حالتها

إلى التطلع والتنشوف إلى سواها.

ويبقى لنا مع ذلك أن نلتفت ونلفت الأنظار إلى خصوصيتين أمازيغيتين. علاقة إحداهما بالبيئة ومط العيش ظاهرة. وسبب وجود الأخرى غير واضح. الخصوصية الأولى هي الجنوح إلى التمسك بالراديكالية في الاختيار والسلوك والنظر. ومنها نتج تبنيّ الدوناتية المسيحية في العصر القديم. ثم تبنيّ مذهب الخوارج في العصر الوسيط. والانفراد بالمالكية. وبها يمكن تفسير صرامة ابن تومرت وصرامة تلامذته من الموحدين الأول. ويمكن تفسير ميل أفراد إلى الصلاحية والنسك المفرطين. وميل آخرين إلى الشعوذة والنُّصْب والسُّطو والتشغيب. والخصوصية الثانية هي ازدياد الاطناب في القول والفضيحة والتبجح. شأنهم في ذلك شأن الاسبارطيين القدماء (التاريخ العالمي للتربية، l'Histoire Mondiale de l'Education, I, 142, ...). وعنهما صدر موقف يوسف بن تاشفين إذ أمر كاتبه بأن يقتضب الجواب على الرسالة المطولة التي كان ملك أستوريا ألفونسو «السادس قد بعث بها إليه مُحذراً له قُبيل يوم الزلافة. هذه الخصوصية قد تبلورت عند الأمازيغيين في مَثَل سائر قديم يقول «المتبجح القوَال لا يفعل. والفُعَال العامل لا يقول = وْنَا يُتَّيْنِين وُرَا يُتَكَّآ. وْنَا يُتَكَّآن وُرَا يُتَّيْنِي .

## خاتمة

إن من الضروري أن نشير في هذه الخاتمة إلى ظاهرة لا يمكن الباحث الجاد أن يغفل عنها حينما يستعرض مصادر التاريخ الأمازيغي. ولا يجدر به أن يستنتج النتائج من المقدمات إلا بعد وضع تلك الظاهرة في الميزان. ألا وهي انعدام وجهة النظر الأمازيغي واحتكار خصومهم أو شركائهم لرواية أحداث التاريخ وللتعليق على الأحداث. إننا لانعرف عن «بربر» عهد قرطاجة وعهد روما وعهد «بيزاننا» إلا ما رواه الفينيقيون واليونان والرومان أنفسهم. ولا نعرف عن «بربر» عصور الإسلام الأولى إلا ما رواه لنا المؤلفون العرب. ولا نعرف عن «بربر» العهود المتأخرة من التاريخ الحديث. بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلاديين. إلا ما رواه لنا أعوان السلطة المركزية أو المقربون للسلطة. ولا نعرف عن «بربر» المقاومة المسلحة التي تصدّت للفرنسيين بين 1912 و 1934 إلا ما رواه الفرنسيون وكتبوه. وما يوهمه غياب الأمازيغيين في كتابة التاريخ أنهم لم يحضروا في صنع التاريخ إلا حضوراً هامشياً. ولعل هذه «الحاكمة الغيابية» التي حوكموها هي سبب إدانتهم في غير موقف. لأن حججهم كانت معهم كما يقول المثل العربي. ومن حقهم اليوم أن يطالبوا بالتعقيب على

الله. يحكم تلقائياً بأن الشر في النزاع بين العرب و«البربر» في الأندلس. لا يمكن أن يصدر إلا عن «البربر»، وذلك عند قوله: «وما كاد شَرُّ البربر يزول من الأندلس. حتى قام النزاع بين المضربة واليمينية...» (تاريخ الاسلام، ج 1، ص 322). وهذا أمين الريحاني بيدي سروره، في أحد مؤلفاته، من كون شيخ إسباني» يفرق بين العرب والمغاربة». أما رأي المشاركة المحدثين في ابن خلدون فيتجاوزه الاعتزاز بكون ذلك المؤرخ الفذ عربياً والاستياء من «إدانته للعرب ومحاباته للبربر». هذا المؤرخ عبد الله عنان يكتب «...ينتمي (ابن خلدون) في الواقع إلى ذلك الشعب البربري الذي افتتح العرب بلاده بعد مقاومة عنيفة وفرضوا عليه دينهم ولغتهم...». وهذا فؤاد أفرام البستاني» يفند زعم طه حسين «أن ابن خلدون نفسه كان يشك في نسبه العربي. وهذا أبو خلدون ساطع الحصري يتمحل لاثبات عروبة ابن خلدون بالادعاء أن ابن خلدون إنما كان يقصد بـ «العرب» الأعراب (دراسات عن مقدمة ابن خلدون). ويتغافل عما جاء في المقدمة نفسها، يُظهر أن ابن خلدون كان يميّز جيداً بين مفهوم «العرب» و«الأعراب». لأن تكوينه الديني كان يتطلب منه ذلك (المقدمة، ص 216، 217 : معجم الفاظ القرآن الكريم، مادة: عرب).

إن الغاية من كل ما تقدم في هذا المقال من خليلات وملاحظات ليست هي الدعوة إلى جلو صفحات التاريخ الأمازيغي وإعادة كتابتها على حساب الموضوعية العلمية، ولكن الغاية هي لفت النظر إلى أن التاريخ بصفة عامة لا يمكن أن يقال بشأنه إنه علم ما لم يُعَفَّ من القيام بالدعاية لعرق أو

ما أصدر بشأنهم من الأحكام في ضوء ما جدَّ من أساليب النقد لدى من يزاولون بنزاهة مهنة التنقيب عن ماضي الشعوب (L'histoire sous surveillance). لقد تفتن أحد المؤلفين اللاتينيين القدماء — مع كونه لاتينياً — إلى بعض شطحات المؤرخ «سالوستيوس» Sallustius صاحب المرجع الأول الذي يُرجع إليه في دراسة عهد «يوكرتن» Jugurtha «وقال فيه إنه» إنسان دنيء «مجرد من كل نزاهة فكرية (les Berbers, 1,65,note 4). فهل دُرست نصوص ابن عبد الحكم في «فتح المغرب» دراسة نقدية شاملة بصفحتها المصدر الأول لأخبار» البربر «عند دخول العرب أفريقية الشمالية؟ وهل حاول مؤرخ ناقد أن يستنبط من المتون ما كان من الدوافع النفسية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، وراء التحامل على «البربر» من قبل مؤلفين عرب مشاركة وأندلسيين أمثال ابن حوقل، وابن حزم المسيحي الأصل، وياقوت الحموي الرومي النسب؟ فمما يثير الشك في أن المشاركة يستطيعون أن يعالجوا قضايا المغرب التاريخية بما يقتضيه البحث العلمي من موضوعية، أنهم يصدرون أحكاماً جاهزة في مسائل كثيرة دون فحص دقيق لمعطياتها. هذا محمد رشيد رضا يرجح في كتابه «الخلافة والامامة العظمى» الرأي القائل بأن سبب توقف الجيش الإسلامي في جنوبي فرنسا راجع إلى كون أكثر الجنود «بربرا». دون أن يفسّر كيف استطاع أولئك الجنود أن يفتحوا الجزيرة الأيبيرية الشاسعة في ظرف وجيز، ودون أن يشير إلى الاستياء والتذمر الذي أثاره سلوك الولاة الأمويين في أوطان أولئك الجنود. وهذا الأستاذ الكبير حسن إبراهيم حسن، رحمه

### المراجع البيبليوغرافية ملاحظة:

كان القصد من كتابة هذه الفصول هو تقديم نظرة شمولية عن تاريخ الأمازيغيين. مع ما فيه من استمرارية. وبما أن من المفروض أن للقارئ العربي المسلم دراية بتاريخ «البربر» في العهود الإسلامية. لقد اقتضت الفقرات المتعلقة بتلك العهود اقتضابا: بينما تُوسَّع في التعريف بتاريخ أمازيغي ما قبل الإسلام. لهذا نرى أن عدد المراجع الأجنبية في هذه البيبليوغرافية أكثر بكثير من عدد المراجع العربية.

### 1- المراجع العربية:

- ابن ابي زرع: روض القرطاس.
- ابن خلدون، المقدمة، المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1958.
- ابن عبد الحكم، فتوح أفريقية والاندلس، تحقيق عبد الله الطباع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1964.
- ابن عبد العظيم الأزموري: بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم 1501.
- ابن مرزوق التلمساني، محمد: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمد بوعيا، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401هـ / 1981.
- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق هانري بيريس، الجزائر، دار الكتاب، 1957.

لقومية أو لوطنية أو لادبولوجية فلسفية، وبالأحرى ما لم يلتزم بالحياد التام، وما لم يتخلص من أسلوب الأدبيات ولم يتوخ الدقة والايجاز اللذين يفرضهما تقصي الحقائق في غير لبس للحق بالباطل ولا للواقع بالأسطورة أو الخيال .

## تاريخ الأمازيغيين.

### - المصادر الأجنبية أو المكتوبة بلغة أجنبية:

- AGNOUCHE, Abdellatif - *Histoire politique du Maroc, Casablanca -Afrique Orient 1987.*
- AKKACHE, A - *Tacfarinas - Alger, S.N.E D., 1968.*
- AYMARD, André, AUBOYER, Jeannine - *Histoire générale des civilisations, Paris : P.U.F., 1967 - Vol. I, II.*
- BAILLY, A :  
*Dictionnaire Grec-Francais, 11 ème Ed. - Paris : Hachette, 1894.*
- BASSET, André - *La langue berbère - Paris : E. Leroux, 1929.*
- BASSET, André - *Quelques considérations sur la langue berbère*  
*Revue du monde non-chrétien, n° 11, Juil.-Sept. 1949, 12 p.*
- BENABOU, Marcel, - *Juba II ou l'Africanité vassale de Rome, In Les Africains, Paris: Ed. Jeune-Afrique, 1977, pp. 141-165.*
- BENABOU, Marcel - *La résistance africaine à la romanisation, Paris, Maspéro, 1976.*
- BENABOU Marcel - *Tacfarinas : Insurgé berbère contre la colonisation romaine, in Les Africains - Paris, Ed. Jeune-Afrique, 1977, pp. 293-313.*

- أمير عمر: الشعر الأمازيغي المنسوب الى سيدي حمو الطالب. الدار البيضاء. مطبعة التيسير. 1987.
- الجزنائي. علي: جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس.
- الصافي. مومن علي: أوستان صميدنين. مطبعة الأندلس. 1983.
- حسن. ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام. الجزء 1. ط. 7
- القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. 1964.
- ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون. ط. موسعة. القاهرة. دار المعارف. 1953.
- شفيق. محمد: الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الاطلس المتوسط وشرقي الاطلس الكبير. مجلة الاكاديمية. عدد 4. 1987/1408.
- عبد الرزاق. محمد اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب
- الدار البيضاء. دار الثقافة. 1976.
- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم.
- مستاوي. محمد: نسكراف. الدار البيضاء. دار الكتاب. 1976.
- مستاوي. محمد: ناضضا د-ميطاؤون - الدار البيضاء. دار الكتاب. 1979.
- الناصري. أحمد بن خالد: كتاب الاستقصا. الدار البيضاء. دار الكتاب. 1954. 2.



- Maisonneuve, 1984.
- CHOTTIN, Alexis. - *Tableau de la musique marocaine*, Paris, Geuthner, 1939.
  - COHEN, Marcel. - *Pour une sociologie du langage*, Paris, A. Michel 1956.
  - DECRET, François, FANTAR, Mhamed. - *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, Payot, 1981.
  - DRAGUE, Georges. - *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, J. Peyronnet, 1951.
  - EDON, Georges. - *Dictionnaire Français-Latin*, 13e Ed., Paris, Librairie Eugène Belin, 1939.
  - ELISSEEFF, V., NAAUDOU, WIET, G., WOLFF.
  - *Histoire du développement culturel et scientifique de l'humanité*, Paris, UNESCO, Vol. III.
  - *Encyclopédie Berbère - Aix-en-Provence : EDISUD*, 1987, Volume IV.
  - FERRO, Marc. - *Comment on raconte l'histoire aux enfants*, Paris, Payot, 1981.
  - FERRO, Marc - *L'histoire sous surveillance*, Paris, Calmann-Levy, 1985.
  - FOUCAULD, Charles de - *Dictionnaire Touareg-Français*, Paris, Imprimerie Nationale, 1951, 4Vol.
  - FOURNEL, Henri. - *Les Berbers*, Tome 1. Paris,

- BERNARD, Jean - *Le sang et l'histoire* - Paris, Buchet-Chastel, 1983.
- BERTHIER, André - *La Numidie, Rome et le Maghreb*, Paris, Picard, 1981.
- BOUCHENAKI, Mounir - *Jugurtha : Un roi berbère et sa guerre contre Rome*, in *Les Africains* - Paris, Ed. Jeune-Afrique, 1977, pp. 165-191.
- BOUKOUS, A. - *Le profil sociolinguistique du Maroc*, B.E.S.M, n° 140, 1979, pp 5-31. numéro spécial : *Culture populaire marocaine*.
- BRUNNEL, Pierre, JOUANNY, Robert: - *Les grands écrivains du monde*, Paris, F. Nathan, 1976.
- *Bulletin de l'enseignement public au Maroc*, n° 24, Octobre 1920, pp. 302-438. - CAMPS, Gabriel. - *Berbères : Aux marges de l'histoire* - Toulouse, Hespérides, 1980.
- CESAR, Jules -- *Guerre d'Afrique / Texte établi et traduit par A. Bouvert* - Paris, Les Belles Lettres, 1949.
- CHABOT, J. B. - *Recueil des inscriptions libyques.*-Paris, Imprimerie Nationale, 1940-1941.
- CHAFIK, Mohammed. - *En ce qui concerne les noms de Masinissa et Jugurtha*, in *franssich Heute*, Frankfurt, Juin 1984 (Spécial Maghreb).
- CHELHOD, Joseph. - *L'Arabie du Sud*, Paris,

de Si Mohand ou Mhand. - Paris, Maspéro, 1982.  
 - MANDOUZE, André. - Prosopographie de l'Afrique chrétienne. - Paris, C.N.R.S 1982. - MANDOUZE, André.  
 - Saint Augustin, 354 - 430 : Une africanité en question, in Les Africains, Paris, Ed. Jeune-Afrique, 1978, pp. 73-103. - MARCAIS, Georges. - Les Arabes en Berbérie du 11e au 14e siècle, Paris, E. Leroux, 1913, 771 p. - MARCY, Georges. - Introduction à un déchiffrement méthodique des inscriptions tifi-nagh du Sahara central. - Hesperis, 1r - 2e trim. 1937, pp. 89 - 118. - MARCY, Georges  
 - Les inscriptions libyques bilingues. - Paris, Imprimerie Nationale, 1936. - MEILLET, A., VENDRYES, J. - Traité de grammaire comparée des langues classiques - 5e Ed., Paris, Honoré Champion, 1979. - MIALARET, Gaston.  
 - Histoire mondiale de l'éducation - Tome 1, Paris, P.U.F., 1981. - PERETI, Luigi - Histoire du développement culturel et scientifique de l'humanité, Paris, UNESCO, Vol. II. - PLINE L'ANCIEN. - Histoire naturelle, Livre V /Texte établi et commenté par Jehan Desanges, Paris, Les Belles Lettres, 1980. - RACHET, Marguerite. - Rome et les Berbères. - Latomus, revue d'études latines, Bruxelles, 1970. - RENISIO, A. - Etudes sur les dialectes berbères. - Paris, E. Leroux, 1932. - Répertoire alphabétique des

Imprimerie Nationale, 1879.  
 - GAFFIOT, Félix. - Dictionnaire Latin-Français - Paris, Hachette 1934  
 - GALAND, Lionel. - Langue et Littérature Berbères-Paris, C N.R S., 1979.  
 - GSELL, Stéphane. - Histoire ancienne de l'Afrique du Nord - Paris, Hachette, 1920 - 1928 , 8 Vol  
 - HANOTAUX, G. - Histoire de la Nation Egyptienne - Paris, Plon, 1935 -1940, 7 Vol. - Horaires, Programmes, instructions- Rabat, Direction de l'Instruction Publique, 1950.  
 - JACQUES-MEUNIE, Dj. - Greniers - citadelles du Maroc. - Paris, Arts et métiers, 1951, 2 Vol.  
 - JACQUES-MEUNIE, D. - Le prix du sang chez les Berbères de l'Atlas - Paris, Imprimerie Nationale, 1964.  
 - JULIEN, Charles-André. - Histoire de l'Afrique du Nord - Paris, Payot, 1986, 2 Vol. - LAOUST, E. - Cours de berbère marocain - Paris, Geuthner, 1939. - LAOUST, E.  
 - Siwa : son parler - Paris, E. Leroux, 1931. - LEFEBVRE, Gustave - Grammaire de l'Egyptien classique. - Le Caire, Institut Français d'Archéologie Orientale, 1955.  
 - LOCQUIN, Marcel. - In Science et Vie. n° 31, juin 1980. - MAMMERI, Mouloud. - Les Isefra : poèmes

## تاريخ الأمازيغيين.

بيان بشأن بعض الصور المدرجة بين صفحات هذا الكتاب بعض الصور المدرجة بين صفحات هذا الكتاب مقتبسة من مؤلف «كأبريال كامبس. Gabriel Camps»: «أمازيغيون. (وقد شجَّعني Berbères» Toulouse, Hespérides, 1980 على هذا الافتباس علمي أن الأستاذ «كامبس» يخدم تاريخ "المغرب" من أجل نشر المعرفة المستقصية للبحث عن الحقائق التاريخية).

*confédérations de tribus, des tribus, des fractions de tribus et des agglomérations de la zone française de l'Empire chérifien au 1er novembre 1939. - Casablanca, 1939 - 1017 p. - REYGASSE, Maurice. - Contribution à l'étude des gravures rupestres et inscriptions tfinagh du Sahara central, Alger, J.Carbonnel, 1932. - REYNIERS, F. - Taougrat, Paris, Geuthner, 1930. - RI N N, Louis. - Les Origines berbères, Alger, A. Jourdan, 1889. - ROGET, Raymond. - Le Maroc chez les auteurs anciens - Paris, les Belles Lettres, 1924. - SAINT-QUENTIN, Louis de. - 3000 ans avec les Berbères - Paris, Delagrave, 1949. - SALLUSTE. - Bellum Jugurthinum/Texte établi par Alfred Ernout, Paris, les Belles Lettres, 1971. - SILIUS ITALICUS. - La guerre punique, Tome 1, livres I-IV /Texte établi et traduit par Pierre Minoconi et Georges Devallet, Paris, les Belles Lettres, 1979. - TLATLI, Salah-Eddine. - La Carthage punique - Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Maisonneuve, 1978.*